
الرسالة

3 me Année, No. 79.

Lundi-7-1-1935

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع المبدولى رقم ٣٢
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

العـــدد ٧٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢ شوال سنة ١٣٥٣ — ٧ يناير سنة ١٩٣٥ » السـنة الثالثة

فهرس العـــــدد

الرسالة
فى عامها الثـالث

بين عيد الفطر الاسلامي ، وعيد النيروز المسيحي ، يقع عيد ميلاد الرسالة ! فكأن الرسالة لا تنفك تجرى على قدَر من الله فى السفارة بين عهد وعهد ، والوساطة بين فكرة وفكرة ! وفى هذه الفترة التي يعاود الناسَ فيها سلامُ الروح ، وسكينة القلب ، فيتعاطفون على القرابة ، ويتخالصون على المودة ، وينفضون أيديهم من أوزار العيش حيناً لتتآنس النفوس بالتحية ، وتتلامس القلوب بالمصافحة ، لا تجد الرسالة غضاضة الأثرة اذا تبسطت فى الحديث عن نفسها ، الى أصدقائها وقرائها ، فان العيد يقوى شعور الأنس ، والسرور يهلهل رداء الحشمة.

تحبو الرسالة للسنة الثالثة من عمرها ، أو تخطو الخطوة الثالثة من غايتها ، وهي بحمد الله أشد ما تكون استمساكا بالمبدأ ، واستشرافا للغرض ، واستعداداً للأمر ، واستبصاراً بالماضى ، واطمئناناً للمستقبل

ولقد كان من دلائل رضى الله عن جهادها أن ألان لها

أعطاف الشدائد ، وسهل عليها مصاعب النجاح ، ومكن لها من قلوب الناس ، فآثروها بالعطف ، وآزروها بالعون ، ووجدوا فيها مُتَنفساً لخواطرهم المكظومة ، ومَفيضاً لعواطفهم الجائشة ، فتعارفت فيها الأسماء الغريبة ، وتآلفت بها الأنساب القريبة ، وأشرقت بين سطورها في هذه العهود السود ومضات المجد التليد ، كما تومض المنارة الهادية في حواشي الأفق المكفهر ونواحي المحيط المضطرب

لا نريد أن نعوج لما كان ، ولا أن نعد بما يكون ، فان العمل الحي ينمو بطبعه ، ويقصد الى مداه بفطرته ؛ وحياة الرسالة إنما تنبثق من إيمانها ، ومن إخلاص إخوانها ، فلا يكدي لها شباب ولا يبطئ بها وهن

ولقد جربنا في استمالة الفوز كل حيلة فما أفاد غير الايمان : جربنا التسامح فبطر الصديق ، والهوادة فضَرِي العدو ، والثقة فنغل الناصح ، والمحبة فثارت المنفعة ، والكد فهاج المرض . فلولا الايمان بصحة الفكرة ، وشرف الوسيلة ، ونبل الغاية ، وضرورة العمل ، لانقطعت الأسباب وأبدعت ركائب الأمل

إن فيما يحمله البريد إلينا كل يوم من رضى القراء في مختلف الأنحاء لأجماعاً على الخطة التي نهجناها للرسالة . حتى أولئك الذين كانوا يحبون أن تخف أو تُسِفّ عادوا فصالحوا بين أذواقهم وذوقها ، ولاءموا بين أخلاقهم وخلقها ، ففضلوا أن تظل كما هي للخاصة فلا تتعلق بغير الجميل من الأدب والفن والخلق

على أن في الأدب السَّنيّ مناحيَ للذة لا تجد بعضها في الأدب الدنيّ على ثرثرته وإغرائه . فان فيه غذاء لذوقك وذهنك ووجدانك وشعورك ؛ أما غذاء الآخر على غثاثته فيغنيك عنه إن شئت نظرة أثيمة أو حكاية مخزية . وسنكشف رويداً عن هذه المناحي المرعة الممتعة ، فتساعد المربين على تنمية الذوق ، وتعين المعلمين على إحياء المطالعة

وانصراف الشباب عن المطالعة الجدية داء أعيا على العلاج وأشفى على الخطر . وهو وحده علة ما نشكوه من بطء الثقافة وضعف الصحافة وقلة الانتاج وشيوع الجهالة . وما قتل الصبرَ على قراءة الكتاب المفيد والصحيفة الرشيدة إلا هذا الهُراء الذي نفقت سوقه في المجتمع لِبَرَم الرجال من الأزمة ، وسأم الشباب من العطلة ، وسوء ظن الناس بالجد في علاج هذي الحال

إن من مبادئ الرسالة أن تكون صورة لمنازع الأدباء وسجلا لألوان الأدب في هذا العصر ، فهي لذلك تعرض على قرائها الحين بعد الحين آراء مختلفة وأقلاماً جديدة ؛ واختلاف الآراء لا يدل على غير مجرد العرض ، وتعاقب الأقلام لا يعني أن بعضها خير من بعض . وقد ظهرت في العام المنصرم بعض هذه الأقلام البارعة ، فكانت براءة من الله للرسالة أنها تقوم بما تعد وتُوفي بما تُذِم . وستظهر في هذا العام أمثال هذه الأقلام ممن ألف بينها الفن السَّرِيّ ، وجمع بين أهلها الدرب القاصد . كذلك فتحنا بابين جديدين ابتداء من هذا العدد ، وهما : (من روائع الشرق والغرب) وسننشر فيه أروع ما نقرأه من الآداب الأجنبية منقولا الى العربية العالية ، وأبدع ما نختاره من الآداب العربية مأخوذاً من العصور المختلفة . وفي هذا الباب لقاح مثمر لأدبنا ، وإحياء لمآثر أدبائنا ، وصقل لملكات النشء بالنماذج الجميلة . ثم (من هنا ومن هناك) وسنلخص فيه ما نقع عليه من طريف المسائل وجديد الآراء في الصحف أو في الكتب . ذلك إلى ما اعتزمناه من توسيع باب القصص ، وتوجيه النظر في بحث المؤلفات الحديثة القيمة إلى التحليل المفصل والنقد العادل

بقي أن نؤدي فريضة الشكر لأولئك القراء المخلصين الذين عطفوا على هذا الجهد وساهموا فيه بالتشجيع والتنويه والنصيحة ، وللأصدقاء من الأدباء الذين ما برحوا يلبون دعوة الوطن الأكبر فشاركوا في تبليغ الرسالة ، وأعانوا على تأدية الأمانة ، وأضافوا خيرهم الغمر إلى تراث آبائنا الخالد

وإنا لنتقدم إلى هؤلاء وهؤلاء بالتهنئة الخالصة بالعام الجديد ، والعيد السعيد ، والأمل الناشئ في كل نفس ، والنشاط البادئ في كل أمر ، وندعو الله مخلصين أن يقرن العام باليمن ، ويجدد العيد بالخير ، ويعقد الأمل بالنجح ، ويصل النشاط بالرأي والعزيمة

ثم نجدد لأمة الرسالة العهد والعزم معتمدين على فضل الله ، مطمئنين الى عطف الأمة ، متكئين على عون الشباب ، معتدين باخلاص النية ، معولين على إجادة العمل ؛ وفي بعض ذلك الضمانُ الأوفى ، والسندُ الأقوى ، والمرفأ الأمين

احمد حسن الزيات

الله أكبر !

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

جلستُ وقد مضى هزيعٌ من الليل، أُهيِّء فى نفسى بناءَ قصةٍ أُديرها على فتًى كما أُحبّ ... خبيثٍ داعرٍ، وفتاةٍ كما أُحبّ . . . عذراءَ مُتماجِنة؛ كلاهما قد دَرَسَ وتخرَّج فى ثلاثة معاهد: المدرسةِ، والروايات الغرامية، والسِّيما. وهو مصريٌّ مسلم، وهى مصرية مسيحية. وللفتى هَنَاتٌ وسيئاتٌ لا يتنزَّه ولا يتورَّع؛ وهو من شبابه كالماء يغلى، ومن أناقته بحيث لم يَبْقَ إلا أن تلحقه تاءُ التأنيث . . . وقد تشعَّبتْ به فنون هذه المدنيّة، فرفع اللهُ يَدَه عن قلبه لا يُبالى فى أىّ أوديتها هَلَكَ. وهو طِلْبُ نساءٍ، دأبُه التَّجوالُ فى طُرقهنّ، يَتَتبّعُهنّ ويتعرض لهنّ، وقد أَلِفَتْه الطُّرق حتى لو تكلّمتْ لقالت: هـذا ضربٌ عجيبٌ من عربات الكَنْس . . . !

وللفتاة تبرُّجٌ وتهتُّك، يَعْبَثُ بها العبثُ نفسُه، وقد أخرجتْها فنونُ هذا التأنُّثِ الأوربىّ القائمِ على فلسفة الغريزة، وما يُسمّونه «الأدب المكشوف» كما يُصوِّره أولئك الكُتّابُ الذين نقلوا إلى الانسانية فلسفةَ الشهوات الحرّة، عن البهائم الحرة . . . ! فهى تَبْرُزُ حين تخرج من بيتها، لا إلى الطريق، ولكن إلى نظرات الرجال؛ وتظهر حين تظهر، مُصوَّرةً لا بتلوين نفسها مما يجوز وما لا يجوز، ولكن بتلوين مرآتها مما يُعجب وما لا يُعجب

وكلا اثنيهما لا يُقيم وزناً للدين، والمسلمُ والمسيحىُّ منهما هو الاسمُ وحده؛ إذ كان من وَضْعِ الوالدين رحمهما الله! والدِّين حرّيةُ القيد لا حرّيةُ الحرية؛ فأنتَ بعد أن تُقيِّد رذائلَك وضَراوتَك وشرَّك وحيوانيّتك — أنت من بعد هذا حرٌّ ما وَسِعَتْك الأرضُ والسماء والفكر؛ لأنك من بعد هذا مُكمِّلٌ للانسانيّة مستقيمٌ على طريقتها. ولكن هَبْ حماراً تفلسفَ وأراد أن يكون حرّاً بعقله الحمارىّ؛ أى تقرير المذهب الفلسفىّ الحمارىّ فى الأدب . . . فهذا إنما يبتغى إطلاقَ حريته، أىْ تسليطَ حماريّتِه الكاملة على ما يتصل به من الوجود

وتمضى قصّتى فى أساليبَ مختلفةٍ تمتحن بها فنونُ هذه الفتاةِ شهواتِ هذا الفتى، فلا يزال يمشى من حيث لا يَصل، ولا تزال تمنعه من حيث لا تردّه؛ وما ذلك من فضيلةٍ ولا امتناع، ولكنها غريزةُ الأنوثة فى الاستمتاع بسلطانها، وإثباتها للرجل أن المرأة هى قوّةُ الانتظار وقوّةُ الصبر، وأن هذه التى تحمل جنينها تسعة أشهر فى جوفها، تُمسك رغبتها فى نفسها مدّةَ حملٍ فكرىٍ إذا هى أرادت الحياةَ لرغبتها، ليكون لوقوعها وتحقّقها مثلُ الميلاد

ولكنّ الميلادَ فى قصتى لا يكون لرذيلة هذه الفتاة، بل لفضيلتها. فان المرأة فى رأيى — ولو كانت حياتُها محدودةً من جهاتها الأربع بكبائر الاثم والفاحشة — لا يزال فيها من وراء هذه الحدود كلها قلبٌ طبيعته الأمومة، أى الاتصالُ بمصدر الخلق، أىْ كلُّ فضائل العقيدة والدين؛ وما هو إلا أن يتنبه هذا القلبُ بحادثٍ يتصل به فيبلغُ منه، حتى تتحوّلَ المرأة تحوُّلَ الأرضِ من فصلها المقشعرّ المجدِب، إلى فصلها النضر الأخضر

ففى قصتى تُذعِنُ الفتاةُ لصاحبها فى يومٍ قد اعترتها فيه مخافةٌ ونزل بها همٌّ وكادتها الحياةُ من كيدها؛ فكانت ضعيفةَ النفس بما طرأ عليها من هـذه الحالة. وتخلو بالفتى وفكرُها منصرِفٌ إلى مصدر الغيب، مؤمِّلٌ فى رحمة القدَر. ويخلبها الشابُّ خلابةَ رُعُونته وحبه ولسانه، فيعطيها الألفاظَ كلها فارغةً من المعانى، ويُقرُّ بالزواج وهو منطوٍ على الطلاق بعد ساعة. فاذا أوشكتِ الفتاةُ أن تُصرَعَ تلك الصرعةَ دوّى فى الجوّ صوتُ المؤذِّن: «الله أكبر!»

وتَسْمَعُ الفتاةُ فى قلبها، وتتصل بهذا القلب روحانيّةُ الكلمة، فتقعُ الحياةُ السماويّة فى الحياة الأرضية، وتنتبه العذراءُ إلى أن الله يَشهدُ عارَها، ويَفْجَؤُها أنها مُقدِمةٌ على أن تُفسِد من نفسها ما لا يُصلحه المستحيلُ فضلاً عن الممكن، وترنو بعين الفتاةِ الطاهرة من نفسها إلى جسمٍ بغىٍّ ليستْ هى تلك التى هى؛ وتنظر بعين الزوجة من صاحبها إلى فاسقٍ ليس هو ذاك الذى هو؛ ويحكى لها المكانُ فى قلبها

المفطور على الأمومة — حكايةً تثور منها وتشمئز ؛ ويصرخ الطفلُ المسكينُ صرختَه فى أذنها قبل أن يُولَد ويُلقَى فى الشارع . . . !

الله أكبر ! صوتٌ رهيبٌ ليس من لغة صاحبها ولا من صوته ولا من خشيته ، كأنما تفرغ السماءُ فيه ملءَ سحابةٍ على رِجْسٍ قلبها فتُنَقِّيه حتى ليس به ذرّة من دَنَسِه الذى رَكِبَهُ الساعة . كان لصاحبها فى حِسِّ أعصابها ذلك الصوتُ الأسودُ المنطفِء المبهم ، المتلجلجُ مما فيه من قوّة شهواته ؛ وكان للمؤذّن صوتٌ آخر فى روحها ؛ صوتٌ أحمر مشتعلٌ كغمغمة الحريق ، مُجَلْجِلٌ كالرعد ، واضحٌ كالحقيقة ، فيه قوّةُ الله !

سمعتْ صوتَ السلسلة وقعقعتها تُلوَى وتُشَدّ عليها ، ثم سمعتْ صوتَ السلسلة بعينها يُكَسِّر حديدُها ويتحطّم

كانت طهارتُها تختنق فنفذتْ إليها النَّسَمات ؛ وطارت الحمامةُ حين دعاها صوتُ الجوّ ، بعد أن كانت أسَفَّتْ حين دعاها صوتُ الأرض . طارت الحمامة ، لأن الطبيعة التفتتْ فيها لفتةً أخرى .

ويكرِّر المؤذّن فى ختام أذانه : « الله أكبرُ الله أكبر ! » فاذا . . .

***

وتَبَلَّدَ خاطرى فوقفتُ فى بناء القصّة عند هذا الحد ، ولم أدرِ كيف يكون جوابُ « إذا . . . » فتركتُ فكرى يعمل عمله كما تُلْهِمه الواعيةُ الباطنة ، ونِمْتُ . . .

ورأيتُ فى نومى أنى أدخل المسجد لصَلاة العيد وهو يعجّ بتكبير المصلّين : « الله أكبرُ الله أكبر ! » ولهم هديرٌ كهدير البحر فى تلاطُمه . وأرى المسجدَ قد غصّ بالناس فاتّصلوا وتلاحموا ؛ تجدُ الصفَّ منهم على استوائه كما تجد السطرَ فى الكتاب ، ممدوداً محتبِكاً ينتظمه وضعٌ واحد ، وأراهم تتابعوا صفّاً وراء صفّ ، ونَسَقاً على نسق ، فالمسجد بهم كالسنبلة مُلئتْ حبّاً ما بين أوّلها وآخرها ؛ كلُّ حبة هى فى لِفٍّ من أهلها وشملها ، فليس فيهن على الكثرة حبة واحدة تميّزُها السنبلةُ فضل تمييز ، لا فى الأعلى ولا فى الأسفل

وأقف متحيراً مُتلدداً ألتفتُ ههنا وههنا ، لا أدرى كيف أخلُص إلى موضع أجلس فيه ؛ ثم أمضى أتخطى الرّقاب أطمعُ فى فُرْجةٍ أقتحمها وما تنفرج ، حتى أنتهىَ إلى الصفّ الأوّل ؛ وأنظرُ إلى جانب المحراب شيخاً بادِناً يملأ موضع رَجلين وقد نَفح منه ريحُ المسك ، وهو فى ثيابٍ من سُندُسٍ خُضر . فلما حاذيْته جمع نفسه وانكمش ، فكأنما هو يُطوى طيّاً ، ورأيتُ مكاناً وسِعنى فحططتُ فيه إلى جانبه وأنا أعجبُ للرجل كيف ضاق ولم أضيِّق عليه ، وأين ذهب نصفه الضخم وقد كان بعضه على بعضه زِيَماً على زِيَمٍ وامتلاءً على امتلاء

وجعلتُ أحدُسُ عليه ظنى ، فوقع فى نفسى أنه مَلكٌ من ملائكة الله قد تمثل فى الصورة الآدمية فاكتتم فيها لأمرٍ من الأمر

وضجّ الناسُ : « الله أكبرُ الله أكبر ! » فى صوت تقشعرّ منه جلودُ الذين يخشوْن ربّهم ، غير أن الناس مما ألِفوا الكلمة ومما جهلوا من معناها — لا يسمعونها إلا كما يسمعون الكلام : أما الذى إلى جانبى فكان ينتفض لها انتفاضةً رَجَّتنى معه رَجّاً ، إذ كنت ملتصقاً به مُناكباً له ؛ وكأن المسجد فى نفضه إياناً كان قطاراً يجرى بنا فى سرعة السحاب ، فكلٌّ ما فيه يرتجّ ويهتز . ورأيتُ صاحبى يَذْهل عن نفسه ، ويتلألأ على وجهه نورٌ لكل تكبيرة ، كأن هناك مصباحاً لا يزال ينطفىء ويشتعل ؛ فقطعتُ الرأى أنه من الملائكة

ثم أقيمت الصلاةُ وكبّر الأمام وكبر أهلُ المسجد ، وكنتُ قرأتُ أن بعضَهم صلّى خلْف رجلٍ من عظماء النفوس الذين يعرفون الله حقّ معرفته ؛ قال : فلما كبّر قال : « الله » ثم بُهت وبقى كأنه جَسَدٌ ليس به رُوح من إجلاله لله تعالى ؛ ثم قال : « أكْبَرْ » يَعْزِم بها عزماً ، فظننتُ أن قلبى قد انقطعَ من هيبة تكبيره . قلتُ أنا : أمّا الذى الى جانبى فلما كبرَ مدّ صوته مدّاً ينبثق من روحه ويستطير ، فلو كان الصوتُ نوراً لملأ ما بين الفجر والضُّحى

***

وعرفتُ والله من معنى المسجد مالم أعرف ، حتى كأنى لم أدخُله من قبل ، فكان هذا الجالسُ الى جانبى كضوء المصباح فى المصباح ، فانكشفَ لى المسجدُ فى نوره الرُّوحى عن معانٍ أدخلتْنى من الدنيا فى دُنيا على حِدَة . فما المسجدُ بناءً ولا مكاناً

كغيره من البناء والمكان ، بل هو تصحيحٌ للعالم الذي يموج من حوله ويضطرب ؛ فان في الحياة أسبابَ الزيغ والباطل والمنافسة والعداوة والكيد ونحوها ، وهذه كلها يمحوها المسجد إذ يجمع الناسَ مراراً في كلّ يوم على سلامة الصدر ، وبراءة القلب ، وروحانيّة النفس ؛ ولا تدخله إنسانيةُ الانسان إلا طاهرة منزّهة مُسْبِغَةً على حدود جسمها من أعلاه وأسفله شعارَ الطهر الذي يُسمَّى الوضوء ، كأنما يغسل الانسانُ آثار الدنيا عن أعضائه قبل دخوله المسجد

ثم يستوى الجميعُ في هذا المسجد استواءً واحداً ، ويقفون موقفاً واحداً ، ويخشعون خشوعاً واحداً ، ويكونون جميعاً في نفسيّة واحدة ؛ وليس هذا وحده ، بل يخِرّون الى الأرض جميعاً ساجدين لله ، فليس لرأسٍ على رأسٍ ارتفاع ، ولا لوجهٍ على وجهٍ تميز ؛ ومن ثمّ فليس لِذاتٍ على ذاتٍ سلطان . وهل تُحقّق الانسانيةُ وحدتَها في الناس بأبدعَ من هذا ؟ ولعمرى أين يجد العالَمُ صوابَه إلا ههنا ؟

فالمسجد هو في حقيقته موضعُ الفكرة الواحدة الطاهرة المصحِّحة لكلّ ما يَزيغُ به الاجتماع . هو فكرٌ واحدٌ لكل الرءوس ؛ ومن ثمّ فهو حلٌّ واحد لكلّ المشاكل ، وكما يُشقّ النهر فتقف الأرضُ عند شاطئيه لاتتقدم ، يُقام المسجدُ فتقف الأرض بمعانيها الترابيّة خلف جدرانه لاتدخله

* * *

وما حركةٌ في الصلاة إلا أوّلها « الله أكبر » وآخرها « الله أكبر » ؛ ففي ركعتين من كلّ صلاة — إحدى عشرة تكبيرةً يجهر المصلون بها بلسان واحد ؛ وكأني لم أفطن لهذا من قبل ، فأيُّ زمامٍ سياسيّ للجماهير وروحانيتها أشدُّ وأوثقُ من زمام هذه الكلمة ؟

* * *

ولما قُضيت الصلاةُ سلمتُ على الملَك وسلم عليّ ، ورأيته مقبلاً محتفياً ، ورأيتني أثيراً في نفسه ، وجالت في رأسي الخواطر فتذكرتُ القصة التي أريد أن أكتبها ؛ وأن المؤذّن يكرر في خاتمة أذانه : « الله أكبرُ الله أكبر » فاذا . . . . .

وقلت لأسألنّه ، وما أعظم أن يكون في مقالتي أسطرٌ يُلهمها مَلَكٌ من الملائكة ! ولم أكَدْ أرفع وجهي اليه حتى قال :

« فاذا لَطمتان على وجه الشيطان ؛ فولّى مُدبراً ولم يُعقّب ؛ ووضعتِ الكلمةُ الآلهيةُ معناها في موضعه من قلب الفتاة ، فلأياً بِلأيٍ ما نجت

إن الدين في نفس المرأة شعورٌ رقيق ، ولكنه هو الفولاذُ السميكُ الصلبُ الذي تُصفَّح به أخلاقها المدافِعة

الله أكبر ! أتدرى ماذا تقول الملائكة إذا سمعت التكبير ؟ إنها تنشد هذا النشيد :

* * *

بَينَ الوقتِ والوقتِ من اليوم تَدُقُّ ساعةُ الاسلام بهذا الرنين : الله أكبرُ الله أكبر ، كما تدقّ الساعةُ في موضعٍ ليتكلمَ الوقتُ برنينها

* * *

الله أكبر . بَيْنَ ساعاتٍ وساعاتٍ من اليوم ترسل الحياةُ في هذه الكلمة نداءها تهتف : أيُّها المؤمن ، إن كنتَ أصبْتَ في الساعات التي مضتْ ، فاجتهدْ للساعات التي تتلو ؛ وإن كنتَ أخطأتَ ، فكفّرْ وامحُ ساعةً بساعة ؛ الزمنُ يمحو الزمن ، والعملُ يُغيّر العمل ، ودقيقةٌ باقيةٌ في العمر هي أملٌ كبير في رحمة الله

* * *

بين ساعاتٍ وساعات ، يتناول المؤمنُ ميزانَ نفسه حين يسمع : الله أكبر . . ليعرف الصّحةَ والمرضَ من نيّته ؛ كما يضعُ الطبيبُ لمريضه بينَ ساعاتٍ وساعاتٍ ميزان الحرارة

* * *

اليومُ الواحد في طبيعة هذه الأرض عُمْرٌ طويلٌ للشرّ ، تكاد كلُّ دقيقةٍ بشرّها تكون يوماً مختوماً بليلٍ أسود ؛ فيجب أن تقسمَ الأنسانيةُ يومها بعدد قارّات الدنيا الخمس ، لأن يومَ الأرض صورةٌ من الأرض . وعند كلّ قسم : من الفجر ، والظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء ، — تصيح الأنسانيةُ المؤمنة مُنبّهةً نفسَها : الله أكبر ، الله أكبر

* * *

بين ساعات وساعات من اليوم يَعرِضُ كلّ مؤمن حسابَه ، فيقوم بين يدَى الله ويرفعه إليه . وكيف يكون من لا يزال ينتظر طولَ عُمره بين ساعاتٍ وساعات — الله أكبر . .

مصر وماء النيــــل

وحوادث الحبشة

للأستاذ محمد عبد الله عنان

تجرى الآن على حدود الحبشة حوادث خطيرة ، ويكشف الاستعمار الايطالي عن نياته ومطامعه نحو الحبشة شيئاً فشيئاً ؛ وقد احتلت الجنود الايطالية بالفعل بعض مواقع ومراكز حبشية على مقربة من حدود السومال الايطالى ، وما زالت إيطاليا تحشد قواتها فى تلك الأنحاء ، وترهق الحبشة بمطالبها ودعاويها ؛ والحبشة من جانبها تلتمس تدخل عصبة الأمم ، وتشهدها على هذا الاعتداء ، ولكن ماذا عسى أن تفعل عصبة جنيف إزاء خطة مبيتة مدبرة تترقب إيطاليا الفاشستية الفرصة لتنفيذها منذ أعوام ؟ ولقد بينا فى مقال سابق أدوار هذا النضال الذى يضطرم منذ أواخر القرن الماضى بين الحبشة والاستعمار الغربى ، وكيف أن إيطاليا استطاعت فى وقت من الأوقات أن تفرض حمايتها على الحبشة بعد أن احتلت مصوع والأريترية ، وكيف استطاعت الحبشة لأعوام قلائل أن تحطم هذا النير الذى حاولت إيطاليا أن تضعه فى عنقها ، وأن تسحق الجيوش الايطالية فى موقعة « عدوه » الشهيرة (سنة ١٨٩٦) ، وأن ترغم إيطاليا وأوربا على احترام استقلالها . وسوف تنظر عصبة الأمم فى هذا النزاع بعد أيام قلائل ، ولكنا نستطيع أن نتنبأ منذ الآن أن العصبة لن تستطيع شيئاً ، وأنها كما فشلت فى المسألة المنشورية ورد عدوان اليابان عن الصين ، ستلقى مثل هذا الفشل فى حل النزاع الايطالى الحبشى ، وسيكون القول الفصل للقوة المادية ، فاذا استطاعت إيطاليا أن تتوغل فى الحبشة فسوف تمضى فى تنفيذ خطتها المرسومة لغزو الحبشة واحتلالها كلها أو بعضها ، ولن ينقذ الحبشة من هذا الخطر على حرياتها واستقلالها سوى الاعتماد على نفسها وما تستطيع أن تتذرع به من وسائل المقاومة والدفاع

وقد كان حرياً أن تلقى هذه الحوادث صداها فى مصر وأن تثير فيها أعظم اهتمام : فبين مصر والحبشة علائق تاريخية قديمة ، والشعب الحبشى تابع من الوجهة الدينية للكنيسة القبطية المصرية ، وبطريرك الحبشة أو زعيمها الدينى مصرى يعينه البطريرك المصرى ؛ ومن جهة أخرى فان لمصر مصالح خطيرة فى الحبشة تتعلق بمياه النيل ومنابعه ؛ فالنيل الأزرق الذى يمد النيل بكميات عظيمة من الماء والطمى المخصب ينبع من بحيرة تسانا الحبشية التى تقع فى شمال الحبشة فى ولاية تجرى ؛ وعلى مقربة من هذه البحيرة تقع مستعمرة اريترية الايطالية ؛ ولايطاليا فى هذه المنطقة مطامع اقتصادية كبيرة . والحبشة لا تجهل أهمية تسانا ولا خطورة المصالح الخارجية المتعلقة بمائها ؛ وقد بذلت انكلترا فى العهد الأخير جهوداً عظيمة لتحصل من الحبشة على امتياز بماء هذه البحيرة حفظاً لمصالحها الاقتصادية فى السودان ، وخشية أن تنافسها فى ذلك دولة أوربية أخرى فتهدد هذه المصالح ؛ وكانت الحكومة الحبشية تميل إلى منح هذا الامتياز لشركة أمريكية كبيرة ، وقد ذهبت بالفعل شوطاً بعيداً فى هذا السبيل ، وقامت هذه الشركة ببعض الأعمال والاجراءات التمهيدية فى منطقة البحيرة ، ولكن الحبشة آثرت فى النهاية أن تستبقى إشرافها وسيطرتها على البحيرة ، ولم تكن جهود السياسة البريطانية بعيدة عن هذا القرار . وتعمل السياسة البريطانية اليوم على أن تضطلع مصر بأعباء النفقات التى تقتضيها المشاريع الخاصة بمنطقة تسانا ، وقد بذلت مصر فعلا مبالغ طائلة فى هذا السبيل

***

بين الوقت والوقت من النهار والليل تدوى كلمةُ الروح : الله أكبر . ويُجيبها الناسُ : الله أكبر . ليعتادَ الجماهير كيف يُقادون الى الخير بسهولة ، وكيف يحققون فى الأنسانية معنى اجتماع أهل البيت الواحد ؛ فتكون الأستجابةُ إلى كل نداء اجتماعىّ مغروسةً فى طبيعتهم بغير استكراه

***

النفس أسمىَ من المادّة الدنيئة ، وأقوى من الزمن المخرّب ، ولا دِينَ لمن لا تشمئزّ نفسُه من الدناءة بأنَفَة طبيعية ، وتحمل همومَ الحياة بقوة ثابتة

لا تضطربوا ؛ هذا هو النظام ، لا تنحرفوا ؛ هذا هو النَّهج . لا تتراجعوا ؛ هذا هو النداء . لن يَكبُرَ عليكم شىء ما دامت كلمتُكم : الله أكبر ؟

طنطا مصطفى صادق الرافعى

كان يجدر بمصر إذن أن تتتبع حوادث الحبشــة بمنتهى الاهتمام ، وأن تقدر جميع الاحتمالات التى تترتب على نجاح إيطاليا فى غزو هــذه المنطقة ، إذا قدر لخطتها النجاح ؛ ولــكن مصر ترغم بكل أسف على أن تقف من هذه الحوادث موقف المتفرج الذى لايعنيه من الأمر شىء ؛ والسياسة الانــكليزية تأخذ بيدها كل الأمر سواء باسمها أو باسم مصر ؛ والسياسة الانكليزية تحرص على مصالحها فى السودان قبل كل شىء . وقد كان التوازن الانــكليزى الايطالى فى تلك المنطقة يحول دون وقوع تطورات جديدة ؛ ولــكن الظاهر أن إيطاليا الفاشستية استطاعت أن تتفاهم مع السياســـة البريطانية ، وأن تقنعها بوجوب التسليم بمطامع إيطاليا وتفوق مصالحهــا فى المنطقة الحبشية ، وهى مطامع نوهت باحترامها المعاهدة الثلاثية التى عقدت فى ســنة ١٩٠٦ بين إيطاليا وانــكلترا وفرنسا ؛ وإيطاليا تقوم الآن بتنفيذ خطة مقررة لاترى فيها انكلترا أو فرنسا مايدعو الى الاعتراض ، بل لقد تقدمت السياســة البريطانية لمعاونة الاستعمار الايطالى على التوسع ، فحملت مصر على عقد معاهدة جغبوب ، والنزول لايطاليا عن بعض أراضيها ، وعادت هذا العام فنزلت لايطاليا باسم مصر عن جزء من واحة العوينات الواقعة فى السودان الغربى مما يلى برقة ، وهاهى الآن تترك ايطاليا حرة فى تدبير اعتدائها على الأراضى الحبشــية ، وقد أشرنا فى مقال سابق الى أن أهم عامل فى وقوف السياســة البريطانية هذا الموقف هو ظهور النفوذ الاقتصــادى اليابانى فى تلك المنطقة ، وهو نفوذ تحاربه بكل ما وسعت وأينما كان

* * *

كان ماء النيل وما زال أعظم قنية تحرص عليها مصر ؛ ومنذ فجر التــاريخ تشعر مصر بحق أن حياتها تتوقف على مياه هذا النهر الخالد ، وبأن كل ما حبتها به الطبيعة من النماء والخصب إنما هو من جريانه وفيضه ؛ وكم نــكبت مصر ، وعانت أهوال القحط والوباء ، وفقدت من أبنائها الملايين ، لأن النيل لم يسعفها بوافر فيضه . ومصر تعمل منذ أقدم العصور للفوز بأكبر قسط من هذا الغيث المبارك ، وتسعى بكل ماوسعت لضبطه واستثماره ، وكثيراً ما سير الفراعنة الحملات الى أعالى النيل للوقوف على أسرار هــذا النهر العظيم واستقصاء منابعــه والسهر على سلامة مجراه . وكان طبيعياً أن ترث دول مصر الاسلامية هذا الاهتمام بأمر النيل ؛ وأى دولة لم تقدر أن النيل هو حياة مصر ؟ وكانت حكومات السلاطين تعنى باستقصاء كل مايتعلق بمجرى النيــل وأحوال جنوبى مصر والنوبة ؛ وكانت تعرف أن الحبشة تسيطر على قسم هام من منابع النيل ، وكانت الحبشة تقدر من جانبها أهمية هــذا الاشراف الذى يتعلق بمصالح لمصر تعرف أنها حيوية جوهرية ، وتتخذ هذا الأشرف فى أحيان كثيرة وسيلة لنوع من الضغط السياسى تتذرع به لتحقيق بعض مصالحها ومطالبها المعلقة على إرادة مصر ؛ ذلك أن مصر كانت تسيطر على بيت المقدس وبها الأماكن النصرانية المقدسة ، وتسيطر على أرواح ملايين من النصارى ، وبها مركز البطريركية المرقسية التى تتبعها الحبشة من الوجهة الدينية . ففى عصور الاضطراب أو الاضطهاد حينما يصيب المصالح النصرانية أو الرعايا النصارى شىء من الظلم أو الغبن ، كان ملوك الحبشة يسعون لدى سلاطين مصر لرفع هذا الاضطهاد ، أو لتحقيق بعض المنح كأن تعاد بعض الــكنائس التى هدمت ، أو يطلق سراح المعتقلين ، أو غير ذلك من المطالب ؛ وكان ملوك الحبشة يجدون دائماً فى التلميح إلى ماء النيل وإلى منابعه الواقعة تحت إشرافهم أداة قوية لتحقيق مطالبهم ، وكذلك كانت سيطرتهم على أرواح كثير من الرعايا المسلمين فى بعض الولايات الحبشية عاملا آخر من عوامل الضغط ، مثلما كانت سيطرة السلاطين على أرواح ارعايا النصارى

وقد انتهت إلينا بعض وثائق قديمة هامة تلقى ضوءاً على أهمية هذا التجاذب السياسى بين مصر والحبشة ، ومداره ماء النيل والتنويه بخطورته واحتمال حجزه عن مصر ؛ ومن ذلك وثيقة طريفة وجهت من ملك الحبشة إلى سلطان مصر ســنة ٨٤٧ هـ (١٤٤٣ م) ، وكان نجاشى الحبشة يومئذ « زرع يعقوب » الملقب بقسطنطين ، وسلطان مصر هو الظاهر جقمق الذى تولى الملك سنة ٨٤٢ هـ ؛ ووصلت هذه السفارة الحبشية إلى بلاط مصر فى ١٨ رجب سنة ٨٤٧ هـ ، على يد وفد حبشى يحمل هدية فخمة إلى السلطان منهــا عدة كبيرة من الجوارى والحلى والأسلحة الذهبية ؛ ورسالة طويلة من النجاشى إلى الســلطان ، ينوه فيها بما بلغه من حزمه وعدله وحسن سيرته ، وبما كان من تسامح أســلافه السلاطين نحو النصارى ، ويعتب عليه فيما بلغه من اضطهاد

النصارى فى ظل حكمه ، فى حين أن المسلمين فى الحبشة ، وهم كتلة كبيرة ، يلقون كثيراً من ضروب التسامح والرعاية ؛ ويشير إلى سيطرة الحبشة على ماء النيل فى هذه العبارة : « وليس يخفى عليكم ولا على سلطانكم أن بحر النيل ينجر إليكم من بلادنا ، ولنا الإستطاعة على أن نمنع الزيادة التى تروى بلادكم من المشى إليكم لأن لنا بلاداً نفتح لها أماكن فوقانية ينصرف فيها إلى أماكن أخر قبل أن يجىء إليكم ، ولا يمنعنا عن ذلك إلا تقوى الله تعالى والمشقة على عباد الله »[1] وقد لبثت علائق مصر الاسلامية والحبشة عصوراً تدور حول هاتين النقطتين الخطيرتين : المسألة الدينية أعنى معاملة مصر لرعاياها النصارى ، ومعاملة الحبشة لرعاياها المسلمين ، ومسألة مياه النيل ؛ وكانت مصر تستعمل المسألة الأولى وسيلة للضمان والتوازن فى المسألة الثانية ؛ وكذلك مسألة إشرافها على الكنيسة القبطية ومن ثم على تعيين المطران الحبشى ؛ ومنذ القرن السابع الهجرى نجد سلسلة من السفارات والمراسلات المنظمة تتبادلها مصر والحبشة ، فى عصر الظاهر بيبرس وردت مكاتبات ودية من الحبشة إلى سلطان مصر تنوهاً بحسن العلائق بينهما[2] ؛ ووردت على مصر سفارة حبشية فى عصر الظاهر برقوق من الملك داود نجاشى الحبشة وهو والد قسطنطين السابق ذكره ؛ وأرسل الملك الظاهر جقمق سفارة إلى الحبشة رداً على السفارة المتقدمة[3] ولكن النجاشى استقبل رسل السلطان أسوأ استقبال ، لأن السلطان رد عليه رداً لم يرقه ، ولم يعد بتحقيق مطالبه

***

ولم تغفل مصر فى العصر الحديث هذه الحقيقة الخالدة ، وهى أن حياتها من النيل وإليه ، ومستقبلها الاقتصادى متوقف على حسن استثمارها لمائه ؛ وكانت تلك الخرافات القديمة التى تحيط بمنابع النيل العليا قد أخذت تغيض شيئاً فشيئاً ، وتبدو أهمية الأحاطة بهذه المناطق وإشراف مصر عليها ؛ وكانت عندئذ فتوحات مصر فى السودان منذ أوائل القرن الماضى ، ثم فتوحاتها فى بعض المناطق الحبشية ، واستيلاؤها على كثير من هذه الأنحاء ، ووصول الحملات المصرية إلى أعالى النيل الأبيض ومناطق المطيرة وبحر الغزال ، ووقوفها على كثير من أسرار النهر العظيم وطريقة جريانه ووصولها إلى منطقة تسانا فى الحبشة ، وسيطرتها على مجرى النيل الأزرق كله . ثم كانت البعوث الأكتشافية التى أخذت مصر بقسط وافر فى إعدادها وتنظيمها لاكتشاف منابع النيل ، والأحاطة التامة بظروفها الجغرافية ، فكانت بعوث أمين باشا (ادوارد شنتزر) ، والسير صمويل بيكر ، والكبتن سبيك وغيرهم فى أواخر القرن الماضى ؛ واكتشفت منابع النيل الأصلية فى قلب أفريقية ، ورفع القناع الأخير عن الأساطير التى أحاطت بها ، وعرفت مصر من أين يأتيها وكيف يسير اليها الغيث المبارك

ومنذ أوائل هذا القرن تمنى الحكومة المصرية أكبر العناية بأنشاء المشاريع الهندسية الكبرى سواء فى مصر أو السودان ، لضمان انتفاع مصر بأكبر قسط من مياه النيل ، وقد أنفقت مصر إلى اليوم فى هذا السبيل عشرات الملايين ؛ وكان آخر هذه المشاريع مشروعا تعلية خزان أسوان ، وإنشاء خزان جبل الأولياء على النيل الأبيض . وما زالت ثمت مشاريع أخرى فى أعالى النيل الأبيض ، وفى منطقة بحيرة تسانا يراد أن تحمل مصر على القيام بها

***

ولا ريب أن السياسة البريطانية تعمل من جانبها على أن ينتفع السودان بأكبر قسط من مياه النيل ، وأن تجنى بريطانيا من وراء ذلك أعظم الثمار الأقتصادية ، والسياسة البريطانية ما زالت تحمل مصر على إنفاق الملايين فى مشاريع النيل السودانية باسم المصالح المصرية ؛ وقد استطاعت بريطانيا العظمى أن تستأثر فى العهد الأخير بالسيطرة على السودان ، وأن تقضى فيه على كل نفوذ فعلى لمصر ، والسياسة البريطانية تعترف بحقوق مصر فى مياه النيل ، ولكنها لا تتأخر عن الضغط على مصر من هذه الناحية إذا اقتضت مصالحها ذلك ، وقد لجأت فعلاً إلى هذا الضغط فى أواخر سنة ١٩٢٤ لمناسبة مقتل السردار ، فأنذرت مصر فى بلاغها النهائى بأن حكومة السودان سترفع كل قيد وتحديد عن رى أراضى الجزيرة ، أو بعبارة أخرى ستطلق فيها من المياه ما شاءت دون النظر إلى حقوق مصر وحاجاتها

(١) راجع هذه الوثيقة الشهيرة بأكلها فى « التبر المسبوك » للسخاوى ص ٦٧ وما بعدها

(٢) راجع صبح الأعشى ج ٨ ص ١١٩ — ١٢٠

(٣) « التبر المسبوك » ص ٧٠ و ٧١

آفة اللغة هذا النحو ...

للأستاذ على الطنطاوى

أستأذن أستاذنا الجليل « الزيات » فأستعير منه هذا العنوان . فأكتب كلمة فى هذا الموضوع الكبير ، الذى نبه إليه الأستاذ بمقالته القيمة المنشورة فى « الرسالة » الثالثة عشرة :

قال الاستاذ : « ليس من شكّ فى أن دراسة النحو على هذا الشكل تفيد فى بحث اللهجات فى اللغة ، ودرس القراءات فى القرآن ، ولكن نحن اليوم ، وقبل اليوم ، إنما نستعمل لغة واحدة ، ونلهج فى الفصيح لهجة واحدة ، فلماذا لا نجرّد من النحو القواعد الثابتة التى تحفظ هذه اللغة ، وتقوّم تلك اللهجة ، وندع ذلك الطمّ والرمّ لمؤرخى الأدب وفقهاء اللغة وطلاب القديم ، على ألاّ يطبقوه على الحاضر ، ولا يستعملوه فى النقد ، وإنما يلحقونه بتلك اللغات البائدة التى خلق لها ، وتأثر بها ، فيكون هو وهى فى ذمّة التاريخ ، وفى خدمة التاريخ ؟ »

ولقد صدق أستاذنا وبرّ ، وأصبح النحو علماً عقيماً ، يدرسه الرجل ويشتغل به سنين طويلة ثم لايخرج منه إلى شىء من إقامة اللسان والفهم عن العرب . وإننى لأعرف جماعة من الشيوخ ، قرأوا النحو بضعة عشر عاماً ، ووقفوا على مذاهبه وأقواله ، وعرفوا غوامضه وخفاياه ، وأوّلوا فيه وعللوا ، وأثبتوا فيه ودللوا ، وناقشوا فيه وجادلوا ، وذهبوا فى التأويل والتعليل كلّ مذهب ، ثم لا يفهم أحدهم كلمة من كلام العرب ، ولا يقيم لسانه فى صفحة يقرؤها ، أو خطبة يلقيها ، أو قصة يرويها . . .

ولم يقتصر هذا العجز على طائفة من الشيوخ المعاصرين ومن قبلهم من العلماء المتأخرين ، بل لقد وقع فيه جلة النحويين وأئمتهم منذ العهد الأول :

وقد روى السيوطى فى (بغية الوعاة) أن الكسائى [1] قد مات وهو لا يعرف حد نعم وبئس ، وأن المفتوحة ، والحكاية ! . . . وأن الخليل [2] لم يكن يحسن النداء . . . وأن سيبويه [3] لم يكن يدرى حد التعجب !

وأن رجلاً قال لابن خالويه [4] : أريد أن تعلمنى من النحو والعربية ما أقيم به لسانى . فقال له ابن خالويه : أنا منذ خمسين سنة أتعلم النحو ، ما تعلمت ما أقيم به لسانى !

فأى فائدة من النحو ، إذا كانت قراءته خمسين سنة لاتعلم صاحبها كيف يقيم لسانه ؟ وما الذى يبقى للنحو إذا لم يؤد إلى هذه الغاية ، وإذا أصبح أصعب فنون العربية وهو لم يوضع إلا لتسهيلها وتقريبها ؟

ومن — ليت شعرى — يسلك الجادة ليخلص من الوعر ويدنو من الغاية ، إذا رأى من هو أقوى منه وأجلد قد سلكها فانتهت حياته ولم ينته منها ، وأتته منيته وهو فى بعضها . . . يقلب حصباءها ، وينبش تربها ، وينظر فى جوانبها ؟ . . .

(١) على بن حمزة ، إمام الكوفيين فى النحو واللغة ، وأحد القراء السبعة ، استنفد علم معاذ الهراء ، وقرأ على الخليل ، وخرج إلى البادية ، فأفرغ فى الكتابة عن العرب حبر خمس عشرة قنينة ، قال ابن الأعرابى : كان الكسائى أعلم الناس ، ضابطاً عالماً بالعربية ، قارئاً صدوقاً توفى سنة ١٨٢

(٢) الخليل بن أحمد الفراهيدى صاحب العربية والعروض ، قال السيراقى : كان الغاية فى استخراج مسائل النحو ، وتصحيح القياس فيه ، وهو أول من استخرج العروض ، ورتب المعاجم ، وهو أستاذ سيبويه . وعامة الحكاية فى كتابه عنه ، وهو على الجملة آية من آيات الله فى الذكاء والفهم والعلم ، على زهادة وشرف نفس ، وانقطاع إلى الله ، توفى سنة ١٧٥

(٣) عمرو بن عثمان ، إمام البصريين ، أصله من أرض فارس ونشأ فى البصرة ، أخذ عن الخليل ويونس والأخفش وألف الكتاب فى النحو ، الذى يسمى شيخ الكتب ، ارتحل إلى أرض فارس بعد مناظرته المشهورة مع الكسائى ومات بها غماً سنة ١٨٠ وعمره ٣٢ سنة

(٤) هو الحسين بن أحمد بن خالويه النحوى الأمام ، قرأ القرآن على ابن مجاهد والنحو والأدب على ابن دريد ونفطويه ، وابن الأنبارى . سكن حلب واختص بسيف الدولة ، وهناك انتشر علمه وروايته ، وله مع المتنبي مناظرات ، كان أحد أفراد الدهر فى كل قسم من أقسام الأدب وله تصانيف جليلة توفى بحلب سنة ٣٧٠

على أنه يحسن فيما يتعلق بمسألة تسانا والحبشة أن تتفاهم الحكومتان المصرية والبريطانية على الوسائل التى تؤدى الى صون مصالحهما المشتركة فى مياه هذه المنطقة ، إذا أسفر الصراع الحالى بين إيطاليا والحبشة عن تسرب النفوذ الأيطالى إلى تلك المنطقة . ومن واجب الحكومة المصرية أن تتبع أدوار هذا الصراع بمنتهى الاهتمام ؛ وأما الشعب المصرى فلا ريب أنه سوف يتتبعه بمنتهى العطف على أمة صديقة تربطها بمصر علائق قديمة ، وأمة باسلة تعمل للذود عن حرياتها إزاء عدوان الأستعمار الغربى

محمد عبد الله عنان
المحامى

وإذا كان ملك النحاة[١] بعد أن أنفق عمره كله فى تعلم النحو وتعليمه ، يستشكل عشر مسائل ، وتستعصى عليه فيسميها « المسائل العشر ، المتعبات إلى يوم الحشر » [٢] ويأمر أن توضع معه فى قبره ، ليحلها . . عند ربه ! فما بالك بأمثالنا من السوقة ؟ . . وكيف نفهم هذا النحو وندركه ادراكاً بله الاستفادة منه ؟ وأن نجتنب به الخطأ فى النطق وفى الفهم ؟ . . .

ومن يقبل على النحو ، وهو يرى هذه الشروح وهذه الحواشى التى تحوى كل مختلف من القول . وكل بعيد من التعليل ، وفيها كل تعقيد ، حتى ما ينجو العالم من مشاكلها مهما درس وبحث ونقب ، ولا يستقر فى المسألة على قول حتى يبدو له غيره أو يجد ما يردّه ويعارضه ، كالقائم على ظهر الحوت ، لا يميل إلى جانب إلاّ ميل به إلى جانب ، ولا يدرى متى يغوص الحوت ، فيدعه غريقاً فى اليمّ . . .

وسبب هذا التعقيد — فيما أحسب — أن النحاة اتخذوا النحو وسيلة إلى الغنى ، وطريقاً إلى المال ، وابتغوه تجارة وعرضاً من أعراض الدنيا ، فعقّدوه هذا التعقيد وهوّلوا أمره ، حتى يعجز الناس عن فهمه إلاّ بهم ، فيأتوهم ، فيسألوهم ، فيعطوهم ، فيغتنوا . . .

روى الجاحظ فى كتاب الحيوان ، أنه قال للأخفش : مالك تكتب الكتاب فتبدؤه عذباً سائغاً ، ثم تجعله صعباً غامضاً ، ثم تعود به كما بدأت ؟

قال : ذلك لأن الناس إذا فهموا الواضح فسرّهم ، أتونى ففسرت لهم الغامض فأخذت منهم !

وروى السيوطى : أن سيف الدولة سأل جماعة من العلماء بحضرة ابن خالويه ذات ليلة : هل تعرفون اسما ممدوداً وجمعه مقصور ؟

فقالوا : لا . فقال لابن خالويه : ما تقول أنت ؟

فقال : أنا أعرف اسمين . قال : ما هما ؟

قال : لا أقول لك إلاّ بألف درهم ! . . .

(١) هو الحسن بن صافى ، كان أنحى أهل طبقته ، وكان فهماً ذكياً فصيحاً إلا أنه كان عنده عجب بنفسه وتيه ، لقب نفسه بملك النحاة ، وكان يسخط على من يخاطبه بغير ذلك ، استوطن دمشق آخر حياته ومات فيها سنة ٥٦٨ قال عنه ابن خلكان : كان مجموع فضائل

(٢) بغية الوعاة

وكان نفطويه[١] لا يُقرىء كتاب سيبويه إلاّ إذا أخذ الرسم ، من أجل ذلك اتخذ النحاة هذا التعقيد سنة جروا عليها ، وغاية تواطأوا على بلوغها ، لتتم الحاجة إليهم وتثبت لهم مكانتهم ، وتستمر الحاجة إليهم ، حتى ان أبا على الفارسى[٢] ، لما سأله عضد الدولة بن بويه أن يصنف له كتاباً فى النحو — وصنف الايضاح ، وأوضح فيه النحو وقربه حتى أتى عليه عضد الدولة فى ليلة ، واستقصره وقال له : ما زدت على ما أعرف شيئاً ، أحسّ أبو على بالخطأ ، وشعر بأنه خرج على هذه الخطة التى اختطوها لانفسهم : خطة التعقيد . . . فعمد إلى تدارك الخطأ ، فمضى فصنف التكملة وحملها إليه ، فلما وقف عليها عضد الدولة قال : غضب الشيخ فجاء بما لا نفهمه نحن ولا هو[٣] . . .

وزاد النحو تعقيدا وإبهاماً وبعداً عن الغاية التى وضع من أجلها ، ماصنعه الرمانى[٤] من مزج النحو بالمنطق وحشوه به ، حتى ما يقدر من بعده على تجريده منه ، وحتى قال أبو على الفارسى وهو معاصر له :

« إن كان النحو ما يقوله الرمانى فليس معنا منه شىء ، وإن كان ما نقوله نحن ، فليس معه منه شىء . . . » .

فخرج النحو بذلك عن الجادّة ، ولم يعد واسطة لفهم كلام العرب واتباع سبيلهم فى القول ، بل غدا علماً مستقلا معقداً مضطرباً لا تكاد تثبت فيه مسألة . ورضى النحاة عن هذا التعقيد ووجدوا فيه تجارة وكسباً ، حتى أن السيرافى[٥] لما ألف كتابه الاقناع

(١) هو ابراهيم بن محمد ينتهى نسبه الى المهلب بن أبى صفرة . لقب بنفطويه لشبهه بالنفط لدمامته وأدمته ، وجعل على مثال سيبويه لانتسابه فى النحو اليه وجريه على طريقته وتدريسه كتابه . جلس للاقراء أكثر من خمسين سنة ، وكان عالماً بالعربية واللغة والحديث ؛ مات سنة ٣٢٣

(٢) هو الحسن بن أحمد الامام المشهور واحد زمانه فى علم العربية ، أستاذ ابن جنى الامام العلم البليغ ، وله مصنفات كثيرة وجليلة توفى ببغداد سنة ٣٧٧

(٣) بغية الوعاة ووفيات الأعيان

(٤) هو على بن عيسى بن على المعروف بالوراق وبالأخشيدى النحوى المتكلم أحد المشاهير ، جمع بين الكلام وعلم العربية ، وله تفسير القرآن الكريم ، قال أبو حيان : لم ير مثله قط علماً بالنحو وغزارة بالكلام ، واستخراجاً للعويص وإيضاحاً للمشكل ، مع تأله وتنزه ودين وفصاحة وعفاف ونظافة ، مات سنة ٣٨٤

(٥) الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو سعيد السيرافى كان أبوه مجوسياً اسمه بهزاد فسماه أبو سعيد عبد الله . كان يدرس ببغداد علوم القرآن والنحو واللغة والفرائض ، قال التوحيدى : وكان إمام الأئمة فيها جميعاً مع الصلاح والأمانة . قضى ببغداد ولم يأخذ على الحكم أجراً . مات سنة ٣٦٨ وكان معاصرا للرمانى وأبى على الفارسى

(الذى أتمه ولده يوسف) وعرض فيه النحو على أوضح شكل وأجمل ترتيب ، فأصبح مفهوما سهلاً ، لايحتاج الى مفسر ولا يقصر عن إدراكه أحد ، حتى قالوا فيه : وضع أبو سعيد النحو على المزابل بكتابه الأقناع ... لما ألفه قاومه النحاة ، وما زالوا به حتى قضوا عليه ، فلم يعرف له ذكر ، ولم نعرف أنه بقى منه بقية !

وزاد النحو فساداً على هذا الفساد هذا الخلاف بين المذهبين (أو المدرستين على التعبير الجديد) : المذهب الكوفى ، والمذهب البصرى ، وماجرّه هذا الخلاف من الهجوم على الحق ، والتدليل على الباطل ، والبناء على الشاذ ، قصد الغلبة وابتغاء الظفر ، كما وقع فى المناظرة المشهورة بين الكسائى وسيبويه ، حين ورد هذا بغداد على يحيى البرمكى ، فجمع بينه وبين الكسائى للمناظرة فقال له الكسائى :

— كيف تقول : قد كنت أظن أن الزنبور أشد لسعة من العقرب ، فاذا هو هى ، أو هو إياها

— فقال سيبويه : فاذا هو هى ، ولا يجوز النصب

— فقال الكسائى : أخطأت ، العرب ترفع ذلك وتنصبه ، وجعل يورد عليه أمثلة ، منها : خرجت فاذا زيد قائم أو قائماً وسيبويه يمنع النصب

فقال يحيى : قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما ، فمن يحكم بينكما قال الكسائى : هـــذه العرب ببابك قد وفدوا عليك ، وهم فصحاء الناس فاسألهم

— فقال يحيى : أنصفت

وأحضروا فسئلوا ، فاتبعوا الكسائى فاستكان سيبويه وقال :

— أيها الوزير . سألتك إلا ما أمرتهم أن ينطقوا بذلك ، فان ألسنتهم لاتجرى عليه ، وكانوا إنما قالوا : الصواب ما قاله هذا الشيخ !

— فقال الكسائى ليحى : أصلح الله الوزير ، إنه قد وفد اليك من بلده مؤملاً ، فان رأيت ألاّ ترده خائباً

فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فخرج الى فارس فمات بها بعد قليل غماً وأسى !

فى حين أن الحق كان فى الذى يقوله سيبويه ، وأن الكسائى كان — كما يقول السيوطى — ممن أفسدوا النحو ، لأنه كان يسمع الشاذ الذى لا يجوز إلا فى الضرورة فيجعله أصلاً ...

وزاد النحو فساداً على هذا الفساد ، ابتغاؤهم العلة والسبب ، لكل ما نطقت به العرب ، وسعيهم لتعليـــل كل منصوب ومخفوض ، وسلوكهم فى ذلك أبعـد السبل من الواقع ، وأدناها إلى التنطع والوهم . من ذلك ما رواه ابن خلكان من أن أبا على الفارسى كان يوماً فى ميدان شيراز يساير عضد الدولة ، فقال له :

— بم انتصب المستثنى فى قولنـا : قام القوم إلا زيدا ؟ قال الشيخ : بفعل مقدر . قال : كيف تقديره ؟ قال : أستثنى زيداً . فقال له : هلاّ رفعته وقدرت الفعل امتنع زيد !

فانقطع الشيخ وقال :

— هذا جواب ميدانى فاذا رجعت قلت الجواب الصحيح . ثم انه لما رجع إلى منزله وضع فى ذلك كلاماً حسناً وحمله إليه فاستحسنه

قال السيوطى ، والذى اختاره أبوعلى فى الأيضاح أنه ينتصب بالفعل المتقدم بتقوية إلا

قال : والمسألة فيها سبعة أقوال . . . حكيتها فى كتابى جمع الجوامع من غير ترجيح ، وأنا أميل إلى القول الذى ذكره أبو على أولاً ...

* * *

هذه بعض الأسباب التى جعلت النحو معقداً هذا التعقيد ، مضطربا هذا الأضطراب ، بعيداً عن الغاية هذا البعد . « فلماذا لا نجرد من النحو القواعد الثابتة التى تحفظ هذه اللغة التى نستعملها ، وتقوم تلك اللهجة — التى نلهجها — وندع ذلك الطمّ والرمّ لمؤرخى الأدب وفقهاء اللغة ؟ »

ولماذا لايدلى علماء العربية وأدباؤها برأيهم فى سبيل الأصلاح ، ولماذا لا ينشر شاعرنا الفحل الأستاذ المحقق محمد البزم ، وهو أول رجل أعرفه انتبه إلى فساد هذا النحو ، ولبث خمسة عشر عاماً يعالج أدواءه ، ويصف دواءه ، ويقرأ من أجل ذلك كل مافى أيدى الناس من كتب النحو وأسفار العربية ؛ لماذا لاينشر ثمرة بحثه ، وخلاصة دراسته فى (الرسالة) مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية ، ليطلع عليها علماء العربيـة وأدباؤها ؛ ويبدوا آراءهم فيها ، فيكون من ذلك الخير للعربية إن شاء الله ؟ ويكون الفضل للأستاذ الزيات على أن فتح هذا الباب ، وللأستاذ البزم على أن كان أوّل من ولجه ؟

علي الطنطاوي

مسـابقة أدبية

إلى شعراء العربيـــة

من الآنســة (مي)

قصيدة من النسق العالى فى الشعر الوجدانى الفرنسى صاغتها قريحة الآنسة النابغة (مى) ثم ترجمتها هى إلى العربية وقدمتها إلى شعرائنا مقترحة أن ينقلوها نظماً إلى لغتنا فى موعد لا يتجاوز آخر شهر فبراير سنة ١٩٣٥. وقد تفضلت فتبرعت للمجيد الأول بجائزة مالية قدرها جنيهان مصريان. وسيكون الفصل بين الشعراء للجنة من الأدباء سنعلن تأليفها عما قريب «المحرر»

النص الفرنسى

DOUTE

Amie aux grands yeux doux, mon âme vous appelle!
Le vent souffle ce soir, caprieieux et lourd,
Il mugit; et sa voix gémissante et rebelle
Fait résonner en moi l' écho rebelle et sourd.
Amie aux grands yeux doux, mon âme vous appelle!

***

Et tristement je rêve, assise entre les fleurs;
L' aile de l' ouragan fouette ma fenêtre,
Le ciel pleure : ah! ces pleurs, ces lamentables pleurs
Que vont-ils remuer aux profondeurs de l' être?
Et tristement je rêve, assise entre les fleurs.

***

Vous souvient-il d' un jour, le premier de l' année,
Où le charmant secret illumina vos yeux,
Où mon âme en votre âme adora son aînée,
Où de vous vint à moi le mot silencieux?
Vous souvient-il d' un jour, le premier de l' année?

***

Un mois s' en est allé, nous touchons à sa fin.
Deux fois durant deux soirs je vous revis encore.
Maintenant que ma joie en est au lendemain
Je languis pour revoir l' ensorcelante aurore...
Un mois s'en est allé, nous touchons à sa fin.

***

Et ce soir est un soir d' adieu, pluvieux et sombre;
Brumeux sont mes pensers et l' angoisse m'étreint;
Mon coeur tout attenàri d' un vilain doute s' ombre:
Si votre coeur n' était q' astucieux et vain?
Et ce soir est un soir d'adieu, pluvieux et sombre...

May Ziadé

المترجم

ارتيـــاب

صديقتى ياذات العينين الكبيرتين الوديعتين، روحى تناديك!
الريحُ فى هذا المساء تهبُّ هوجاء شديدة الوطأة،
الريحُ تجأر، وصوتُها العصىُّ الناحب
يُرجِّعُ فىَّ دوىَّ الصدى عصيّاً مكبوتاً.
صديقتى ياذات العينين الكبيرتين الوديعتين، روحى تناديك!

***

فى اكتئابٍ أحلمُ، جالسةً بين الأزهار؛
جناحُ الأعصار يلطمُ نافذتى،
السماء تبكى: واهاً لهذه الدموع! هذه الدموع المنتحبة
ماذا تحركُ بسيرها فى أعماق الكيان؟
فى اكتئابٍ أحلمُ، جالسةً بين الأزهار.

***

أتذكرين يوماً هو الأول من العام؟
إذ السرُّ المغرى أنار عينيك،
وإذْ روحى عبدتْ فيكِ روحها الأكبر سنّاً،
وإذْ منكِ إلىَّ جاءت الكلمةُ الصامتة؟
أتذكرين يوماً هو الأول من العام؟

***

شهرٌ تولىَّ، وها قد أتينا على نهايتهِ،
رأيتك خلالهُ مرتين فى مسائين اثنين.
والآن وقد أصبح ابتهاجى فى غدهِ،
أحنُّ إلى لقاء ذيَّاك الفجر الفتّان...
شهرٌ تولىَّ، وها قد أتينا على نهايتهِ.

***

وهذا المساءُ الحالك المطر مساءُ وداع؛
قاتمةٌ هى أفكارى والغمُّ يُطبقُ علىَّ؛
ارتيابٌ خبيثٌ يخالطُ قلبى المستسلم للحنان:
ماذا لو كان قلبكِ مغروراً محتالاً؟...
وهذا المساءُ الحالك المطر مساءُ وداع...

«مىّ»

عابر سبيل

للأستاذ محمد سعيد العريان

قالت له نفسه الكريمة :

« سِرْ يارفيق على هداك حتى تبلغ ؛ لستَ من هذا الناس ، ما أنت فى الحياة إلا عابر سبيل . . . ! »

***

قَبْلَ أن يسفر الصبحُ من ليلة العيد ، استهلّ الصبيُّ صارخاً لأوّلِ ما يرى الدنيا ؛ وقالت القابلة : « يا بُشرى هذا غلام ! » فانبسطت وجوه ، وابتسمت شفاه ، ودبّ المرح فى جنبات الدار

وضمته أمه إلى صدرها النابض فقبلته وقالت : « ستكون سعيداً يابنيّ ؛ إن الحياة لتبسم فى وجهك ؛ هذا يوم العيد أشرق صبحه ! »

وعاد « الشيخ » من المسجد يدبّ على عصاه ، فى لسانه تكبيرٌ وتسبيح ، وفى قلبه صلاةٌ قائمةٌ ودعاءٌ خاشع . واستقبلته ابنته بالبشرى : « إنه صبيّ يا أبتِ ! هل ترى أخى ؟ »

وأدنى الشيخ من جبين الصبيّ فماً يختلج بالشكر ! فقبّله والدمع يترقرق بين أهدابه ، والكلمات تحتبس فى لسانه ؛ وأطال النظر فى وجه الوليد فقال : « لقد أبطأت طويلاً يابنيّ حتى أدركني الهَرَم ، ولكنى بك اليوم سعيد ! لئن كنت موشكاً أن أمضى إلى الدار الأخرى — إنني لحىٌّ بك فى دنياى جيلاً جديداً ؛ فعشْ واسعدْ ياولدى وابتسم للحياة ! » ورفع الشيخ رأسه إلى السماء وقال : « اللهم هذا دعائى لهذا ، وأنت أرحم الراحمين ! »

***

مضى الطفل يعدو وراء الأيام تجاذبه أثوابَ الطفولة ؛ فاذا هو غلام يلهو فى فناء الدار مع لِداتٍ من الصبيان

وقال له صبيٌّ : « ما هذا معك يارفيق ؟ » فانبسط وجه الغلام ، وقاسم الصبيان حلواه ومِلْيماته ؛ وعرف الأطفال أن صاحبهم جواد ، فأقبلوا عليه واجتمعوا على وده . وهمس أحدهم فيمن يليه : « إن معه لكثيراً من ذاك ! » فتعوّد الأطفال أن يسرقوه !

ومضى الصبيّ إلى أبيه يبكى

— « ولدى ، ما يبكيك ؟ »

— « أبكى المليمات يا أبى ! »

— « غداً أُعطيك غيرها يا بنيّ ؛ إن عند الله كثيراً من المليمات للأولاد الصالحين ! »

ونظر الغلام إلى فطير فى أيدى صحابته فاشتهته نفسه ؛ أفيطلب أن يقاسمهم وما تعوّد ؟ ولكن أباه أخذه بألا ينظر إلى مافى أيدى الناس ؛ وكم علمه بالحكاية ، وكم ضرب له من الأمثال : أن الحيوان الضعيف هو الذى يعيش على مافى الأيدى ؟

ورأى الأطفال شهوته فى عينيه ، فاستخفوا منه يلتهمون مافى أيديهم !

***

وشبّ الغلام ، فدفعه أبوه إلى المدرسة ، وعلمه فى أول لياليه وقد رجع من مدرسته ؛ أنْ هؤلاء بإزاء أهلكَ هناك ؛ فأحسنْ فيهم رعاية الودّ ، وكن بينهم أخاً فى إخوانه . »

وقال له زميله فى المدرسة ذات يوم : « هل تعيننى على كتابة دَرْسى ؟ » فلما أعانه مضى الزميل وخلفه يعالج درسه وحده !

وسمع المعلم ذات مرّةٍ همساً بين تلميذين ؛ وكان جاره يطلب منه قلماً ؛ وغضب المعلم وصاح : « مَن يتحدّث ؟ » ولصقت التهمةُ بالمظلوم ، فتلقى الصفعةَ صامتاً وجاره يبتسم ؛ لم تكن ابتسامته من شماتة ، بل فرحاً بالنجاة من كفّ غليظة !

وفى الطريق شاغب التلاميذُ فى أحد الأيام أعمى يدبّ على عكازه ، فلما توعدهم وهزّ لهم العصا ، فرّوا وبقى الغلام لأنه برىء ، فلم تنل عصا الرجل أحداً غيره ! لقد آلمته الضربةُ ولكنه تقدّم ليهدى الرجلَ الطريق !

***

وأيفع الغلام ، واستدناه أبوه إليه وهو منطوٍ فى الفراش على نفسه من وهن الشيخوخة ؛ ولبث الشيخ طويلاً يصوّب النظر فى الغلام ويصعده ، ثم تكلم : « ليتك يابنيّ ملء عينىّ كما أراك ملء قلبى ! ولكنى أرى فى وجهك اليوم ما كانت

تريني المرآة منذ عشرات وعشرات ، فلا جرم أن تبصر يا بنيّ في مرآتك بعد عشرات وعشرات صورة أبيك ! ستكون أميراً ياولدي ؛ سيستجيب الله دعائي لك ، وما انقطع دعائي لك منذ ولدت ؛ فأحبب الناس ، وهب نفسك للجماعة ! كن رجلاً قوياً يا بنيّ ؛ كن للناس فيض الحب والرحمة ، ولا تستجد الحياة مالا تعطيك ؛ السعيد يا بنيّ من يعطي لا من يطلب العطاء ! »

وتكرر هذا من أبيه أياماً ، كان يريد ألا يموت إلا وقد وضع نفسه في ابنه !

ثم مضى أبوه في رحلة طويلة لا رجعة منها إلى هذه الدار . ياحسرتا ! هذا هو في الفراش مسجّى والنائحات تنوح ! وأخفى الفتى عينيه يستر دمعه ، لقد علمه أبوه أن يكون جلداً فليحفظ وصاة أبيه

ونظر في وجوه المشيعين في الجنازة فما رأى بينهم رجلاً كالذي فقده ، فعلم أنه فقده الى الأبد . وتصوّر الدار الخلاء إلا من أمه وإخوانه . يا للفاجعة ! يجب أن يكون رجل الدار ؛ لقد لقنه أبوه لمثل هذا اليوم دروس الرجولة منذ كان في المهد صبياً . وهتف بالكلمة الغالية لآخر مرة : « يا أبي ! » وغلبه الدمع ، فاستعصم وعاد يقول : « ستنام هادئاً يا أبي ، فانني أنت هنا ! »

وعاد الى الدار مطرق الرأس ، ليضع يد الرجل الصغير في أكفّ الرجال الكبار يشكرهم على ماجاءوا لتعزيته !

أجاءوا يعزّون (الرجل الصغير) أم جاءوا يحصون ما خلف الميت وأنفسهم تسيل طمعاً ؟

وقالت له أمه : « مابي خوف الوحدة وأنت لي ، فقم على الدار والدرس ؛ إن الرجولة تقتضيك أن تكون من أهل العلم والكرامة ، فقد كان أبوك عالماً كريماً . كن للناس ماكان أبوك : وجهاً طلقاً ، ونفساً سمحة ، ويداً معطية ، وقلباً يفيض بالحب !

* * *

وخيل الى الغلام أنه الرجل ، وطمأنه الى الناس أن أباه أوصاه بالناس ؛ فلم يرد لأحد طلبة ، وإنه ليحمل من هموم الناس أكثر مما يحمل من هموم نفسه ؛ مؤمناً بأنه يفعل واجبه للجماعة ، ويؤدي دينه للأنسانية ؛ مستيقناً أن الناس ستحمل عنه إذا نابه همّ !

وقال له جاره يوماً : « إن دائني يركب كتفي ، فهل عندك فضل من المال الى حين ؟ »

وأعانه ما قدر على إعانته ، ، فاذا جاره لايلقاه من بعدها إلا حادَ عن الطريق ؛ وإن في (الرجل الصغير) لقليلاً من سوء الظنّ ، وإن فيه لكثيراً من الحياء !

وهل يحيد الرجل عن طريقه إلا من عسر يستحيي أن يستعلن ، وهل في الناس — فيما يرى — من يجحد الفضل وينكر العارفة . . . ؟

وسأله صديق مرة : « هل تعينني على تأديب ولدي ؟ فمابي طاقة على أن أدفعه الى معلم بالمال ؛ ومابي طاقة أن أهمله من التعليم ! »

واهتزت نفس الفتى ، لأنه — فيما بدا له من صاحبه — قادر على أن ينفع الناس مثل أبيه . وشدا الولد من العلم ما شدا ، فأنكر معلّمه وتنكر له أبوه !

وقال رجلنا لنفسه : « يا للأب المكدود ! لقد حزبته مشغلة العيال عن ذكري ؛ ليته يستعينني على بعض أمره ! »

ومن أين للفتى أن يعلم بأن كل مبذول مهين . . . .؟

* * *

وقال له واحد من قرابته ينصحه : « هلاّ ادّخرت فضل اليوم للغد ؟ إن المال عصب الحياة ، وجاه الرجولة ، ومطية الأمل البعيد »

وابتسم (الفيلسوف الصغير) وهو يقول : « المال ؟ ما أحب أن أجعل المال خاتمة المسعى وغاية الجهاد ؛ إن البطن لشبر في شبر ، وإن الثوب لذراع في ذراع ؛ أفيتسع البطن حتى يبتلع غلات ضيعة ، أو تطول القامة حتى ما يكسوها إلا ثوب بألف ، أو يتضاعف الجسم حتى ما يؤويه إلا بيت في مساحة مدينة ؟ أنا هو أنا ياصديقي ، غنياً أو فقيراً ؛ بطني هو بطني ، وثوبي هو ثوبي ، وبيتي هو ما امتد من قدمي الى رأسي حين أنام ! أيّ سخرية ! إن الفقير الذي يعوزه القرش ليستطيع أن

يقول قالة الغني الذي يملك المليون . وماذا يملك الغنيُّ مما يملك إلا أن يسرح الطرف فيقول : هذه ضيعتي وهذا قصري . أفلا يستطيع الفقير أن يسرح عينيه معاً فيقول مثله : هذه ضياعي وتلك قصوري ؟ بلى يا صاحبي . إن الغني لوهمٌ من أوهام الناس ، وإن الفقير المعدم ليرى أنه يملك ما شاء أن يملك من الدنيا ما دام راضي النفس ! »

وافترقا وكلاهما يرثي لصاحبه !

* * *

وقالوا له : « هلاّ التمستَ لك زوجةً تأوي إليها فتجمع ما تفرّق من أمرك ؛ لعلك أن تجد عندها راحةَ النفس وهدوء القلب ؟ »

قال : « حتى ألقاها فأعرفَها فيدلّني عليها قلبي . ما أريدها غنية ، فمالي وغناها وأنا عائلها وكاسبها ؟ وما أريدها جميلة ، فمالي وللجميلة تتوزّعها قلوبُ الناس وعيونهم ، ويتوزّعني منها الشكّ والقلق ؟ وما أغلو في طلب الفيلسوفة العالمة ، فأجمع على نفسي هماً بالليل وهماً بالنهار ! وما أريد أن تقول : (كان أبي ورَحِمَ الله جدّي) ، فتملأ بيتي بأشباح الموتى وأطياف الهالكين ! بحسبي أن أجد الفتاة التي يخفق لها قلبي ويهدأ عندها حنيني . »

وخُيل إليه أنه وجدها بعد إذ أعياه المطاف ؛ فوهب لها قلبه ، وأخلص لها ودّه ، وكشف لها عن نفسه ؛ ونظرت الفتاة في مرآتها ، ثم لوَتْ عنه معجَبةً مزهوة !

أتراه وقد نالت منه بقسوة الصدّ ، وصَعَر الخدّ ، وجفوة الدلال — قد أيقن أن المرأة لا تستوثق من حب صاحبها إلا غَلبتْ ، ولا تستمكن من زمامه إلا رَكبتْ . . . ؟

* * *

يا للمسكين ! لقد كان بريئاً طاهراً كالطفل ، وادعاً مستكيناً كالحمل ؛ يحسب الناسَ كلَّ الناس في مثل براءته وطهره ، فما ينشد فيهم إلا المثلَ الأعلى الذي يراه في نفسه ! وأين المثلُ الأعلى من هذا الناس ؟ أين هؤلاء الذين يرى ، من أناسيّ خياله ؟ وأين هذا الوجودُ من عالمِ قلبه ؟

لقد منحهم حبه فهل لقي عندهم إلا الغدر ؛ وأصفاهم ودّه فهل رأى إلا الأثرة ؛ ومحضهم إخلاصَه فهل عرف إلا الخديعة والمكر ؛ وألانَ لهم جانبه فهل وجد إلا الكبرياء وصعر الخدّ . . ؟

وأيقن (الرجلُ الصغير) أنه لم يكن في هذا العالم غيرَ طفلٍ كبير !

وعرف أخيراً أين أحلامه من اليقظة ، وأين أمانيه من الحقيقة ، وأين المثلُ العليا التي جدّ ينشدها منذ كان صبياً فلم يجدها إلا في نفسه . . . !

وراودته نفسه أن يكون بعض هذا الناس لعله يلقى بعض أسباب السعادة ، فرن الصدى في مسمعيه يرجّع قول أبيه : « ستكون أميراً يا بنيّ ، فأحبّ الناس ، وهَبْ نفسك للجماعة ؛ إن السعيد من يعطي لا مَن يطلب العطاء ! »

وثابتْ إليه نفسه ، ونفذت الطمأنينةُ إلى قلبه فقال : « نعم إنني لأمير ، لأنني فوق الناس ، لأنني أُعطي ولا أستجدي ؛ وإنني لسعيد ، لأنني أملك الرضى ، ولأنني أملك أن أجعل الحياةَ جميلة ! »

وتلفت يَمنةً ويَسرة ، ونظر إلى الناس تتجاذبهم ضروراتُ الحياة ؛ ثم مضى على وجهه ، يمد عينيه إلى الهدف البعيد ، مستنيراً بالأمل ، مستعيناً بالرّضى ، مستيقناً أنه سيجد المثل الأعلى هناك ؛ عند الغاية من هذا الطريق !

وقالت له نفسه : « سِرْ يا رفيق على هداك حتى تبلغ ؛ لستَ من هذا الناس ؛ ما أنتَ في الحياة إلا عابر سبيل . . . ! »

طنطا — محمد سعيد العريان

٧ـ محاورات أفلاطون

الجزء الثاني

كريتون أو واجب المواطن

ترجمة الأستاذ زكي نجيب محمود

أشخاص الحوار : سقراط . كريتون
مكان الحوار : سجن سقراط

سقراط ـ وإنه لو عصى رأي الواحد ورضاه وغض عنهما النظر ، واضعاً في اعتباره رأي الكثرة التي لا تفقه من الأمر شيئاً ، أفلا يعاني شروراً ؟

كريتون ـ إنه بغير شك يعانيها

سقراط ـ وماذا عساها تكون تلك الشرور ؟ الام تنحو ؟ وأي شيء تصيب من الشخص المتمرد ؟

كريتون ـ لا ريب في أنها ستصيب منه الجسد ، فذلك ما تقوى على هدمه الشرور

سقراط ـ ذلك جد جميل ، أليس ذلك حقاً يا كريتون بالنسبة إلى الأشياء الأخر ، ولا حاجة بنا إلى ذكرها تفصيلاً ؟ أينبغي أن نتبع رأي الجمهرة ونخشاها في موضوعات العدل والظلم ، والجميل والقبيح ، والخير والشر ، وهي ما نحن الآن بصدد بحثه ، أم نتبع في ذلك رأي الرجل الواحد الذي يفهمها ، والذي يجب أن يكون له منا هيبة وإجلال أكثر مما يكون لسائر الناس أجمعين ، والذي إن نبذنا قوله فانما نهدم في أنفسنا جانباً كان يرجى له أن يقوم بالعدل وأن يسوء بالظلم ، أليس فينا ذلك الجانب ؟

كريتون ـ إنه موجود ياسقراط ، ولا شك في وجوده

سقراط ـ خذ مثلا شبيهاً بهذا : هب أننا انتصحنا بما ينصح به هؤلاء الذين لا يفقهون فأفسدنا من أنفسنا جانباً ، تصلحه الصحة ويتلفه المرض — أفتكون الحياة جديرة بالبقاء اذا ما فسد ذاك ؟ وإنما أعني به — الجسد

كريتون ـ نعم

سقراط ـ أفي وسعنا أن نعيش وأجسامنا مصابة بالشر والفساد ؟

كريتون ـ كلا ولا ريب

سقراط ـ وهل تساوي الحياة شيئاً إذا ما فسد من الأنسان جزؤه الأسمى ، ذلك الذي تقومه العدالة ويفسده الجور ؟ أفيمكن أن يكون ذلك العنصر الذي يرتبط أمره بالعدل والجور — مهما يكن شأنه في الأنسان — أدنى منزلة من الجسد ؟

كريتون ـ كلا ولا شك

سقراط ـ هو إذن أرفع مقاماً

كريتون ـ هو أرفع مقاماً إلى حد بعيد

سقراط ـ إذن فلا ينبغي ياصاح أن نأبه لما تقوله الجمهرة عنا ، إنما يجب أن نصغي لحكم الحقيقة ، كما نستمع إلى رأي ذلك الواحد الذي يفهم كنه العدل والظلم ، فأنت إذن قد وقعت في الخطأ حين ارتأيت وجوب العناية بما يقوله الدهماء في الظلم والعدل ، والخير والشر ، والزائن والشائن ، سيقول أحد : « ولكن الدهماء في مقدورها إعدامنا »

كريتون ـ نعم ياسقراط ، سيكون ذلك بغير شك رد ما تقول

سقراط ـ هذا حق ، ولكن مع ذلك يدهشني أن أرى الحُجَّة القديمة لا تزال فيما أحسب قائمة قوية كما كانت ، وأحب أن أعرف إن كنت أستطيع أن أقول هذا القول في قضية أخرى — وهي أن ليست الحياة حقيقة بالتقدير ما لم تكن قبل كل شيء حياة خيرة ؟

كريتون ـ نعم بقي لنا أن نبحث هذه أيضاً

سقراط ـ والحياة الخيرة تعادل الحياة العادلة الشريفة — أليس هذا كذلك صحيحاً ؟

كريتون ـ نعم إنه صحيح

سقراط ـ سأنتقل من هذه المقدمات إلى البحث عما إذا كان واجباً عليّ أن أحاول الفرار بغير موافقة الأثينيين ،

أم إن ذلك لا يجوز ؛ فان كنت على حق صريح فى الفرار ، حاولته ، وإن لم أكن ، امتنعت . أما سائر الاعتبارات التى ذكرتها عن المال وضيعة الأخلاق وواجب تربية الأطفال ، فهى كما بلغنى ، ليست إلا تعاليم الدهماء الذين لو استطاعوا لما أبوا أن يضيفوا الى الحياة أناساً ، كما أنهم لا يتعففون عن أن يوردوا الحتف أناساً ، وتكفيهم فى كلتا الحالتين أوهن الأسباب . أما وقد وصلنا بالجدل إلى هذا الحد ، فقد بقيت لدينا مشكلة واحدة جديرة بالبحث ، وهى : هل نكون على حق فى الهروب بأنفسنا ، أو فى تحميل سوانا عناء عوننا فى الفرار ، لقاء نقدمه جزاء وشكوراً أم لا نكون ، فان كانت الأخيرة فلا ينبغى أن يحسب حساباً للموت ، أو لما شئت من الكوارث التى قد تنجم عن بقائى هنا

كريتون — أحسبك مصيباً ياسقراط ، فكيف سبيلنا إذن إلى البحث ؟

سقراط — لننظر معاً فى الأمر ، فان استطعت لما أقول تفنيداً فافعل ، وسأقتنع بك ، وإلا فأمسك يا صديقى العزيز ، ولا تقل ثانية بأنه يجب علىّ أن ألوذ بالفرار برغم إرادة الأثينيين ، وليتنى أجد منك إقناعاً ، ولشد ما أرغب فى هذا على ألا يكون ذلك مخالفاً لما أراه حكما سديداً . وتفضل الآن فانظر فى موقفى الأول ، وحاول ما استطعت أن تجيب عما أقول

كريتون — سأبذل فى ذلك وسعى

سقراط — أفيجوز لنا القول بأنه لا ينبغى لنا قطعاً أن نتعمد الخطأ ، أم أن فعل الخطأ مقبول حيناً مرذول حيناً آخر ، أم أن فعله أبداً شر ووصمة عار كما سبق لى القول الآن وسلمنا بصحته معاً ؟ أفننبذ الآن كل ما سمحنا لأنفسنا به منذ أيام قلائل ؟ أم أننا قضينا هذا العمر الطويل ، يحاور بعضنا بعضاً فى حماسة وإخلاص ، لكى نوقن ونحن فى هذه السن بأنا لا نفضل الأطفال فى شىء ؟ أم نثق ثقة قاطعة بصحة ما قيل من قبل ، من أن الجور دائماً شر وعار على الجائر ، برغم ما يرى الدهماء ، وبرغم ما ينجم عن ذلك من نتائج ، حسنة كانت أم سيئة ؟ هل نؤيد هذا ؟

كريتون — نعم

سقراط — إذن يجب ألا نفعل الخطأ

كريتون — يقيناً يجب ألا نفعله

سقراط — واذا أصابنا الضرر فلا نرده بضرر مثله ، كما تتخيل كثرة الناس ، لأنه يجب ألا نصيب أحداً بضر

كريتون — واضح أن ذلك لا يجوز

سقراط — ثم هل يجوز لنا أن نفعل الشر يا كريتون ؟

كريتون — لا يجوز قطعاً ياسقراط

سقراط — وما رأيك فى رد الشر بالشر ، وهى أخلاق الدهماء — أذلك عدل أم ليس بالعدل

كريتون — ليس بالعدل

سقراط — فلأن تصيب أحداً بشر كأن تصيبه بضر

كريتون — صحيح جداً

سقراط — إذن لا ينبغى لنا أن نأخذ بالثأر ، ولا أن نرد الشر بالشر لأحد ما ، كائنا ما كان الشر الذى ابتلانا به ، وأحب أن تنظر فى الأمر يا كريتون ، لترى هل كنت حقاً تعنى ما تقول ، ذلك لأنه لم يأخذ بهذا الرأى يوماً ، ولن يأخذ به إلى آخر الدهر فريق من الناس كبير . ولا سبيل الى اتفاق بين من يقرون هذا الرأى ومن لا يقرونه ، فما بد من أن يزدرى بعضهم بعضاً ، عند ما يرون كم بينهم من شقة الخلاف . حدثنى إذن: أأنت متفق معى ومؤيدى فى مبدئى ذاك ، وهو أن ليس من الحق إيقاع الضر ، ولا الأخذ بالثأر ، ولا رد الشر بالشر ؟ أمسلم أنت بهذا مقدمة لحديثنا ، أم أنت منكر له راغب عنه ؟ لقد كان ذلك مذهبى منذ عهد بعيد ، وما يزال كذلك ؛ فان كنت ترى غير ذلك رأياً ، فهات ماعندك ؛ أما إن كنت بعد هذا كله لا تزال عند رأيك الأول ، انتقلت معك فى الحديث خطوة أخرى

كريتون — إننى ثابت عند رأيى ، فتستطيع أن تسير فى الحديث

سقراط — سأنتقل إذن إلى الخطوة الثانية التى يمكن أن توضع فى صيغة هذا السؤال : أينبغى للانسان أن يفعل ما يراه حقاً ، أم ينبغى له أن ينقض الحق

كريتون — إنه يجب على الانسان أن يفعل ما يظنه حقاً

سقراط — ولكن ما تطبيق هذا إن صح ؟ ألست أسىء إلى

أحد إن تركت السجن برغم إرادة الأثينيين ؟ أو على الأصح ، ألست أخطىء فى حق أولئك الذين ينبغى أن يكونوا من أبعد الناس عن الأساءة ؟ ألا يكون ذلك تطليقاً لمبادئ التى سلمنا معاً بعدلها ؟ ماذا تقول فى هذا ؟

كريتون — لست أدرى ياسقراط ، فلا أستطيع أن أقول شيئاً

سقراط — إذن فانظر الى الأمر على هذا الوجه : هب أننى هممت بالأبوق (أو إن شئت فسم هذا العمل بما أردت من أسماء) فجاءت الى القوانين والحكومة تسائلنى : « حدثنا يا سقراط ، ماذا أنت فاعل ؟ أتريد بفعلة منك أن تهز كياننا — أعنى القوانين والدولة بأسرها بمقدار ماهى فى شخصك ماثلة ؟ هل تتصور دولة ليس لأحكام قانونها قوة ، ولا تجد من الأفراد إلا نبذاً واطراحاً ، أن تقوم قائمتها ، فلا تندك من أساسها ؟ » فبماذا نجيب يا كريتون عن هذه العبارة وأشباهها ؟ وسيكون مجال القول واسعاً لكل انسان ، وللخطيب البليغ بنوع خاص ، يهاجمون هذا الشر الذى ينجم عن اطراح القانون الذى لابد لحكمه من النفاذ . وربما أجبنا نحن : « نعم ، ولكن الدولة قد آذتنا ، وجارت علينا فى قضائها » هب إننى قلت هذا

كريتون — جميل جداً يا سقراط

سقراط — سيجيب القانون : « أفكان ذلك ما قطعته معنا من عهد ، أم كان لزاماً عليك أن تصدع لما حكمت به الدولة ؟ » فان بدت علىّ من قولهم هذا علائم الدهشة ، فربما أضاف القانون قوله : « أجب يا سقراط بدل أن تفتح لنا عينيك : وقد عهدناك مسائلاً ومجيباً . حدثنا ، ما شكاتك منا ، تلك التى تسوغ لك محاولة هدمنا وهدم الدولة معاً ؟ فوق كل شىء ، ألم نأت بك الى الوجود ؟ ألم يتزوج أبوك من أمك بعوننا فأعقباك ؟ قل إن كان لديك ما تعترض به على أولئك الذين ينظمون الزواج منا ؟ » وهنا لا بد من إجابتى أن لا « أو على أولئك الذين منا ينظمون طرائق التغذية والتربية للأطفال ، وفى ظلها نشأت أنت ؟ ألم تكن القوانين التى نهضت بهذا على حق فى أن طلبت الى أبيك أن يدربك فى الموسيقى ورياضة البدن ؟ » وهنا يلزم أن أجيب أن قد كانت على حق : « حسناً ، فان كنا قد أتينا بك الى العالم ، ثم أطعمناك فأنشأناك ، أفأنت جاحد أنك قبل كل شىء ابننا وعبدنا كما كان آباؤك من قبل ؟ فان صح هذا فلسنا وإياك سواسية ، فلا تظن أن من حقك أن تفعل بنا ما نحن بك فاعلون ، وهل يكون لك أدنى حق فى أن تنال أباك أو سيدك ، إن كان لك أب أو سيد ، بالضرب أو بالشتم أو بغير ذلك من السوء ، إذا وقع عليك منه ضرب أو شتم ، أو أصابك منه غير ذلك من الشر ؟ — لا تخالك قائلاً بهذا . وإذا كنا قد رأينا أن من الصواب إعدامك ، أفتظن أن من حقك أن تجازينا إعداماً باعدام ؟ وأن تجازى وطنك بمقدار ما هو ماثل فيك ؟ وهل تظن يا أستاذ الفضيلة الحق أن يكون لك فى ذلك ما يبررك ؟ أيعجز فيلسوف مثلك أن يرى بأن وطننا أخلق بالتقدير ، وأنه أسمى جداً وأقدس من أم أو أب أو من شئت من سلف ، وهو أجدر بالاعتبار فى نظر الآلهة وأهل الفطنة من الناس ؟ وإنه إن غضب وجب أن نهدىء من سورته ، وأن نلاقيه لقاء وديعاً خاشعاً أكثر مما نفعل حتى مع الوالد ، فان تعذر إقناعه وجبت طاعته ؟ فاذا نالنا منه العقاب بالسجن أو بالجلد ، وجب أن نحتمل جزاءه فى صمت ، وإن ساقنا الى حومة الوغى حيث الجراح والموت ، كان لزاماً أن ننصاع له باعتباره مصيباً ، دون أن يسلم أحد منا أو يتقهقر أو يترك منصبه ، وواجب حتم على الانسان أن يصدع بما يأمره به الوطن ، سواء أكان فى ساحة الحرب أم فى ساحة القانون ، إلا إذا غيّر من وجهة نظره فى ماهية العدل ، وإن كان لا يجوز له أن يقسو على أبيه أو أمه ، فما أوجب أن يكون رحيماً على وطنه » بماذا نجيب على هـــذا يا كريتون ؟ أالقوانين فيما تقول صادقة أم ليست بصادقة ؟

كريتون ـ أحسبها صادقة فيما تقول

(يتبع) زكى نجيب محمود

غياث الدين الكاشي

للأستاذ قدري حافظ طوقان

يهمنا دائماً أن نكشف عن نواحٍ من التراث العربي والأسلامي أحاطها إهمالنا واهمال غيرنا بسحب من الغموض والأبهام حتى كادت تصبح في عالم النسيان . وقد يظن بعضهم أن الكشف عن هذه النواحي سهل لا يحتاج إلى تنقيب ، ولكن الواقع غير ذلك ، فاننا نجد صعوبة كبرى ومشقة عظمى في وضع ترجمة عالم مغمور ، إذ يحتاج ذلك إلى مراجعة الكتب قديمها وحديثها من عربية وإفرنجية ، ويحتاج أيضاً لمطالعة متنوع المخطوطات علّنا نتمكن من الكتابة عن ذلك العالم كتابة تعطي فكرة صادقة عن حياته ومآثره في العلوم . ولقد ثبت لنا أن هناك عدداً كبيراً من علماء العرب والمسلمين اشتغلوا بالرياضيات والفلك والطبيعة وغيرها من العلوم والفنون ، لم يأخذوا حقهم من البحث والاستقصاء ، وأن مآثرهم لا تزال مجهولة لدينا إذ هي مبعثرة في شتى الكتب ، وأنه لم يقم أحد منا يعنى بها أو يهتم بكشفها ، ولست أدري على من يقع اللوم ؟ أنا لا أشك أن القراء الكرام يشاركونني في أن اللوم يقع علينا جميعاً كلا من ناحيته ، فعلى الذين يعنون بالتاريخ والجغرافيا يقع اللوم على عدم عنايتهم باظهار فضل العرب والمسلمين في هذين الفرعين وفي عدم تبيانهم للملأ أثر علمائهم فيها ، كذلك يقع اللوم على الذين يعنون بالكيمياء ، إذ من الواجب العلمي والوطني أن يهتموا بمآثر العرب فيها وبما قدمه العقل العربي من خدمات جليلة لها . وما يقال عن التاريخ والجغرافيا والكيمياء يقال عن غيرها من فروع المعرفة . ولا يخفى أنه يجب أن يكون وراء الكشف عن مآثر وتراث أسلافنا فكَر وطنية تعود على الأمة بالخير والنفع ، فتُحفز همتها وتُثار عزيمتها ، ولسنا في هذا مبتدعين أو آتين بجديد . ونظرة إلى تاريخ العلوم والفنون عند الفرنجة تجدهم عند بحثهم عن مآثر علمائهم ونوابغهم فيها يدخلون وراءها فكرات وطنية مستورة تتجلى لنا في كل مناسبة ، وتتجلى لنا أيضاً في كتبهم وفي تدريسهم في الجامعات والكليات . وبذلك يكونون قد جعلوا النشء يؤمنون بقابليتهم ويعتقدون بعبقريتهم ويشعرون بقوميتهم ، وفي هذا كله قوى تدفع الأمة إلى حيث المجد والسؤدد

بعد هذا نعود إلى موضوع مقالنا فنقول : إن غياث الدين جمشيد الكاشي من الذين لم يكتب عنهم إلا الشيء القليل ، وهذا الشيء القليل موزع في عدة كتب منها الصفراء (وفيها الخير الكثير) ومنها الفرنجية ، ومنها التركية ، وقد حاولت أن أستعين بما عثرت عليه في مختلف المؤلفات التاريخية ، فوفقت والحمد لله إلى تأليف ترجمة متواضعة ، أرجو أن أكون قد قمت بها ببعض الواجب نحو عالم من علماء المسلمين اشتغل في العلوم الرياضية ، ومهر في الرصد وبرع في الفلك

* * *

وُلد غياث الدين في القرن الخامس عشر للميلاد في مدينة كاشان مما وراء النهر ، وكان يقيم فيها مدة ثم ينتقل إلى محل آخر ، ولقد توجه إلى سمرقند بدعوة من أولوغ بك ، الذي كان يحكم باسم (معين الدين سلطان شاه) وفيها ألف أكثر مؤلفاته التي كانت سبباً في تعريف الناس به . ويقال إن الفضل في إنشاء مرصد سمرقند يرجع إلى غياث الدين وإلى قاضي زاده رومي ، ولكن الأول توفي قبل البدء باجراء الرصد فيه ، كما أن الأخير توفي قبل تمامه ، وعلى هذا سُلمت أمور المرصد إلى علي قوشجي ، ولهذا المرصد أهمية كبيرة ، إذ بواسطته أمكن عمل زيج (كوركاني) الذي بقي معمولاً به قروناً عديدة في الشرق والغرب ، واشتهر هذا الزيج بدقته وبكثرة الشروح التي عملت لأجله . والكاشي من الذين لهم فضل كبير في مساعدة أولوغ بك في إثارة همته إلى العناية بالرياضيات والفلك

واختلف المؤلفون في تاريخ وفاة الكاشي ، فبعضهم يقول إنه توفي حوالي سنة ١٤٢٤ م ، ويقول آخرون إنه توفي حوالي سنة ١٤٣٦ م ، ولم نستطع البت في هذه المسألة ، ولكننا نستطيع القول بأن الوفاة وقعت في القرن الخامس عشر للميلاد في سمرقند بعد سنة ١٤٢١ م ، وهي السنة التي أنشئ فيها المرصد

اشتهر الكاشي في علم الهيئة ، وقد رصد الخسوفات التي حصلت سنة ٨٠٩ هـ ٨١٠ هـ ٨١١ هـ ، وله في ذلك مؤلفات بعضها باللغة الفارسية ، منها كتاب زيج الخاقاني في تكميل الأيلخاني ، وكان القصد من وضعه تصحيح زيج الأيلخاني للطوسي ، وفي هذا

الزيج الخاقانى دقق فى جداول النجوم التى وضعها الراصدون فى مراغة تحت إشراف الطوسى ، ولم يقف غياث الدين عنــد حد التدقيق بل زاد على ذلك من البراهين الرياضية والأدلة الفلكية مما لانجده فى الأزياج التى عُملت قبله ، وقد أهداه الى أولوغ بك .

وله فى الفارسية أيضاً بعض رسائل فى الحساب والهندسة . ومن تآليفه القيمة التى وضعها باللغة العربيــة ما يبحث فى علم الهيئة والحساب والهندسة ، نذكر منهـا كتاب نزهة الحدائق ، وهذا الكتاب يبحث فى استعمال الآلة المسماة طبق المنـاطق ، وقد أوجدها لمرصد سمرقنـد ، ويقال إنه بواسطة هـذه الآلة يمكن الحصـول على تقاويم الكواكب عرضها وبعدها مع الخسوف والكسوف وما يتعلق بهما . وله رسالة سلم السماء ، وهذه تبحث فى بعض المسائل المختلف عليها فيما يتعلق بأبعاد الأجرام . وله أيضاً رسالته المحيطية ، وهى تبحث فى كيفية تعيين نسبة محيط الدائرة إلى قطرها ، وقد أوجد تلك النسبة إلى درجة من التقريب لم يسبقه إليها أحد كما قال البروفسور (سمث) . وقيمة هذه النسبة كما حسبها الكاشى كما يلى :

١٤١٥٩٢٦٥٣٥٨٩٨٧٣٢و٣ ، ولم نستطع أن نتأكد من استعماله علامة الفاصلة ، ولكن لدى البحث ثبت أنه وضع هذه القيمة للنسبة فى الشكل الآتى :

صحيح
١٤١٥٩٢٦٥٣٥٨٩٨٧٣٢ ٣ وهــذا الوضع يشير الى أن المسلمين فى زمن الكاشى كانوا يعرفون شيئاً عن الكسر العشرى ، وأنهم سبقوا الأوروبيين فى استعمال النظام العشرى ، يعترف بذلك البروفسور سمث فى كتابه تاريخ الرياضيات فى ص ٢٩٠ من الجزء الأول . وللكاشى رسالة الجيب والوتر ، وقد قال عنها المؤلف فى كتابه المفتاح ما يلى : « وذلك مما صعب على المتقدمين كما قال صاحب المجسطى فيه أن ليس إلى تحصيله من سبيل » . وقد يكون كتاب مفتاح الحساب من أهم مؤلفات صاحب الترجمة ، إذ وضع فيه بعض اكتشافات فى النظريات الحسابية . ويقول عن هذا الكتاب الأستاذ صالح زكى : « ويعتبر هــذا الكتاب الخاتمة لكتب الحساب المبسوطة التى ألفها الرياضيون الشرقيون . . . » وكذلك يقول عنه كتاب كشف الظنون فى أسامى الكتب والفنون : « . . . بلغ فيــه إلى غاية حقائق الأعمال الهندسية من القوانين الحسابية ، وهو على مقدمة وخمس مقالات : المقالة الأولى فى حساب الصحيح ، الثانية فى حساب الكسور ، الثالثة فى حساب المنجمين ، الرابعة فى المساحة ، الخامسة فى استخراج المجهولات ، وهو كتاب مفيد أوله : . . الحمد لله الذى توحد بابداع الآحاد الخ . . ألفه لأولوغ بك ثم اختصره وسماه تلخيص المفتاح ، وقد شرح بعضهم هــذا التلخيص . .) وفى هذا الكتاب نجد قانوناً لايجاد مجموع الأعداد الطبيعية المرفوعة إلى القوة الرابعة . أما القانون فهو :

$$\text{مجـ ب}^{4} = \left(\frac{\text{مجـ ب} - 1}{5} + \text{مجـ ب} \right) \text{مجـ ب}^{2}$$

وقد يظهر هذا الوضع غريباً ولذا نوضحه بما يلى :

مجـ ب^{4} رمز إلى المجموع : ١^{4} + ٢^{4} + ٣^{4} + ... + ب^{4} .

مجـ ب^{2} « « « : ١^{2} + ٢^{2} + ٣^{2} + ... + ب^{2} .

مجـ ب « « « : ١ + ٢ + ٣ + ب ... + .

ويعترف كتاب تراث الاسلام بأن الكاشى استطاع أن يجد قانوناً لايجاد مجموع الأعـداد الطبيعية المرفوعة إلى القوة الرابعة كما اعترف بذلك أيضاً البروفسور سمث فى كتابه تاريخ الرياضيات فى ص ٥٠٥ من الجزء الثانى

هــذه لمحة موجزة عن حياة الكاشى ومآثره فى الرياضيات والفلك ، والذى نرجوه أن نوفق فى المستقبل للكتابة عنه بصورة أوسع وأوفى للمرام ، وأن تكون هذه اللمحة حافزاً لغيرنا للاهتمام باحياء العلماء المغمورين أمثال الكاشى ، نسأله تعالى التوفيق والعون

نابلس قدرى حافظ طوقان

مطالع الأعوام

للأستاذ عبد العزيز البشرى

جرت عادة الناس من الزمان البعيد أن يفرحوا أو يتكلفوا الفرح كلما طالعتهم دورة الأيام بعام جديد. وكثير منهم من يتخذ من مطلع العام عيداً، يلبس فيه جديد الثياب، ويحتفل لتهنئة الصحاب واستقبال الهناء من الصحاب، ويتفرغ من كل عمل ليتوفر ومن يحمل من الأهل والولد على إصابة ما يتهيأ لهم من اللذائذ والمتع، وتقليب العطف فيما يتيسر من ألوان النعيم. كذلك جرت عادة الناس، أو عادة أكثر الناس

ولو قد راجع المرء نفسه فى هذا، وراح يتحسس الأسباب والعلل فى ذلك الذى يكون منه فى مطالع الأعوام، فليت شعرى بمَ هو فى غاية الأمر راجع؟. أتراه فرحاً بأنه طوى من عمره عاماً؟. أم تراه فرحاً بأنه سينشر من عمره عاماً؟

وإن عجباً دونه كل عجب أن هذا الانسان الأثر، المتشبث بأسباب الحياة، مهما تذلل وتوجع، يفرح بطىّ صفحة من حياته، وقطع مرحلة من عمره، فيدنو من الغاية المحتومة التى ما ذكرها إلا ملىء من ذكرها فرقاً ورعباً!

وإن عجباً لاينتهى منتهاه عجبٌ أن هـــذا الانسان الجبان المنخلع القلب، الذى لايرى إن يقيناً وإن وهماً، فى كل ثنيّة من ثنايا الغيب، وفى كل منعطف من منعطفات الدهر، إلا مايرتصد له، ويتربص به الدوائر، ويرميـه ما أصحرت به الأيام بألوان المكاره والمخاطر — اللهم إن عجباً لاينتهى منتهاه عجب أن يفرح هذا الانسان باستقبال كل هذا الذى يتوقع من أذى طارقات الليـــال!

إذن ففيم فرح الأنسان بدورة الأيام، واغتباطه ذاك بالتخلص من عام لاستقبال عام؟

ليت شعرى أتراه يضيق بالحياة ويبرم بها، ويسرّ كلما طوى من كتابها صفحة، واقترب من غايتها خطوة؟. اللهم إن الأنسان لأكلف بالحياة، وأودّ لو تطرد به إلى غاية الزمان، وإلى ما بعد غاية الزمان!. أليس أكبر عزائه فى هذه الحياة إذا عرض ذكر الموت، ولا مفرّ منه، أنه مبعوث من بعده لحياة لايدركها عدم ولا يلحقها فناء؟

إذن ففيم فرح الأنسان بدورة الأيام، واغتباطه بالتخلص من عام لاستقبال عام؟

ألاَ إن أعجب من هـذا كله أن يراجع الأنسان نفسه، ويسائلها فيم اغتباطها وفرحها من حيث يجب أن يتداخلها الأسى وتلحّ عليها الحسرة من كل مكان؟!

اللهم إنه ليكلف بطول العمر، ويكلف بقصر العمر، وإنه ليشغف ببسطة الأيام، ويشغف بنفاد ما بقى بين يديه من الأيام!. اللهم إنه لا يستريح إلى هذا المحال، إلا من كان به مسّ من جنون أو مسّ من خبال!

* * *

ليس الانسان مجنوناً ولا مخبّلاً؛ بل إنه ليفكر فيحسن التفكير، ويقدّر فيصيب التقدير، ويدبّر فيُحكم التدبير. وإن عقله الجبار ليأبى إلاّ أن يستذلّ عنقَ الطبيعة كلَّ يوم. وهاهوذا لايفتأ يسخر لحاجاته جوّها وماءها، وأرضها وسماءها، بما لايحتاج معه إلى قيام دليل على صحة العقل وسلامة التفكير!

ما لنا بعد هذا بدّ من التدسّس إلى قرارة النفس، والتسلل إلى ثنيّاتها، علّنا نصيب الوجه ونستخرج العلة فى ذلك الذى نحسبه فى المحال!

ها نحن أولاء نتحرّى خطرات النفس، ونتقرى خلجات الحس، فنسير وراءها حيثما سارت، وندور معها كيفما دارت. حتى إذا بلغت سائلتها القرار، تهيأ لنا أن نروى عنها أصحّ الأنباء وأصدق الأخبار.

هذا الانسان العاقل المفكرّ المدبرّ، يجزع حقاً أشد الجزع لما ينطوى من أيام عمره، ولقد يهش حقاً لما يستقبل من بقايا أيام الحيـاة. غير أنه لا يعقد أية صلة بين هاتين النزعتين القويتين فى نفسه، فهذه تكون منه فى حال، وهذه تكون فى حال، فليس ثمت فى الأمر طلب للمحال. فاذا طلبت بياناً فاليك البيان:

إن علة العلل فى كل هـذا الذى ترى من تناقض الأنسان، وخلاف نزعات نفسه بعضها لبعض، إنمـا هى فيما طبع عليه من

الأثرة وشدة الكلَف بالنفس . فهذه الأثرة هي التي تدخل عليه الفزع لما فني من سني العمر ، وهذه الأثرة هي التي تدخل عليه السرور بما يستقبل من بقية أيام الحياة ، وإن شئت قلت بما يقبل على استهلاكه من بقايا أيام الحياة !

أما أن الأثرة هي التي تدخل عليه الجزع لما يتصرَّم من أيام العمر ، فيدنو به خطىً إلى مهواه من القبر ، فذلك ما لا يحتاج إلى توجيه ولا إلى تعليل ، وأما أن هـذه الأثرة نفسها هي التي تُدخل عليه السرور بما يُقبل على استهلاكه من بقايا أيام العمر . فذلك بأنه ما يُفنى من حياته يوماً إلاّ أطمعته أياماً ، ولا يطوى من عمره عاماً إلا بسطت بين يديه أعواماً : فالأنسان ، على إيمانه بالموت ، وجزمه بألاّ مهرب منه ، لا يفتأ يدافع الأجل كلما تقدم خطوة الى الأجل ، وهكذا ، حتى لو قُدّر في الزمان أن يُبسط في عمر إنسان الى ألف عام ، لوسوس له تأميل الأثرة بعدُ بالمزيد !

وعلى هذا فمهما يَطْوِ الانسان من سنّه ، ومهما يُفنِ من عمره ، فان ما خلا يكاد يسقطه من مساحة العمر بما يُجدّ له التأميل كل يوم من بسطة الزمان بين يديه ! فيعيش كذلك ما يعيش ، وكأنما يمتح من بحر لجيّ ما لمائه من نفاد !

وكذلك القول في تطامن الأنسان لمستقبل الأيام واستبشاره ، في غالب الأحيان ، بمقدمها ، وقلة احتفاله لما عسى أن يكون قد جُنّ له من المكاره في ضمائر الغيوب ، فان هذه الأثرة نفسها لتأبى إلا أن تطالعه بألوان التأميل ، فلا ينتظر له من واردات الليالى إلاّ كلَّ مشتهى وكل جميل ! بل إنها لتدخل عليه أحسن العزاء بما سيلقى من الخير والعافية عما كان قد أصابه من الخيبة فيما سلف من الزمان !

فقد بان لك أن الأثرة في الأنسان هي علة العلل ، وهي مصدر ما يُحسب عليه من خطأ في الحساب ومن خطل

***

وبعد ، فلو قدّر أن الله أمكن للمرء من طبعه ، وهيأ له أن يسوّى منه ما شاء على ما يشاء . أفتراه يَعتمد هـذه الخلة فيه ، أعنى الأثرة ، فينتزعها من فطرته انتزاعاً ، فلا تعود تخدعه وتختله ، ولا تزيغه عن الواقع ولا تضلله ؟!

لا شك في أنه إن فعل سلم تقديره ، واستقام له القياس ، وأدرك الحقائق على ما هي عليه لا على ما يشتهى أن تكون ؛ لأن هذه الأثرة كثيراً ما تُلبس المنى بالحقائق الواقعة . وقد تستدرج الانسانَ إلى المطامع البعيدة بما تهيء له من إجراء القياس ، في شأن نفسه ، على ما يقع من الأمور النادرة في شئون بعض الناس . وبهذا وبهذا تُسيء تقديره ، وتفسد حكمه على الأشياء أيما إفساد . وأنت بعدُ خبيرٌ بأن السعادة في هذه الدنيا لا تُرجى بخير من الأصابة ، والتهدّى إلى جوهر الحقائق ، وسلامة التقدير وصحة التدبير . وتلك الطرقُ الواضحة ، لا شك ، لأسعاد الحال ، وإدراك المبتغى من ميسور الآمال

ولكن . . . . ولكن إذا قدّر هـذا في الطبيعة ، وتهيأ للانسان ففعل ، فعلى أية صورة تُرى يتمثل له العيش في الدنيا ، وبأي شعور يتلقى آثار هذه الحياة ؟

إنك مهما تحتث من أصول هـذه الأثرة المغروسة في طبيعة الانسان ، فانه ، ولا بدّ ، يألم إذا دخل عليه ما يدعو إلى الألم . وهو ، لا بدّ ، يلتذ بما يصيب من المتع ، وإنه ليستريح إلى العافية ، وإنه ليفرح بما يصيب من النعم ، وإنه ليحزن إذا طرقته داعيات الحزَن ؛ وتلك أدنى مطالب الحس في الحيوان ، بَلْهَ الانسان .

فلو قدّرنا أن الانسان قد استوى في عيشه الى الحقائق الواقعة ، وأجرى حسابه في جميع أسبابه عليها ، فهل تراه يعدل ما يصيب في الدنيا من لذة ومتاع ، بما يعاني من شدائد وبُرح وأهوال وأوجاع ؟ . اللهم لا ! . على أنهما لو تكافآ فأضحى خارج الحساب صفراً ، لأمسى التشبث بهذه الحياة من إحدى العابث !

على أنه الأملُ ، أملُ المعنّى المبتلى في العافية ، وأمل المعافى إن كان في الدنيا معافىً ، في صعود الجد ، وفي إقبال الزمان بما تتطلّع النفوس اليه وتهفو له — هو الذى يرجّح كفة الربح ويشهى الينا الحياة ، ويغرينا بالحرص عليها أيما إغراء !

وما كانت هذه المُنى فينا لتقوى وتستمكن ، وتستفحل وتستحصد ، لولا هذه الأثرةُ التي تُذلل لأوهامنا عصيّ الآمال ، وتسوى لنا في صورة الممكن ما نظمته الطبيعةُ في سلك المحال !

هذه الأثرةُ التي تغبينا عن كثير من الأشياء ، حتى إنها لتغبينا عن أدنى ما يحيط بنا من الأسباب ، بل إنها لتغبينا عن أحقّ الحق الذى لا نستطيع مدافعته ولو بالأوهام ، أعني الموتَ

الذى لامهرب منه لهارب ولو تعلّق من السحاب، بعلائق وأسباب! . نعم إنها لتغيبنا عنه لأننا ماذكرناه أبداً إلا رأيناه منا بعيداً، وقد نكون منه على رمية حجر!

***

إذن لقد خرج لنا من كل هذا أن قيام الانسان فى الدنيا إنما هو مدين لهذه الأثرة فى طبعه، فبها يحرص على الحياة ويتشبث، وبها يرضى عن الحياة ويكلف، وفى سبيلها يحتمل الأوجاع والأسقام، ويسيغ كل ما تمتربه به الليالى من أحداث جسام. فمن فاتته فيها المتع ففى الآمال متع ومناعم، ومن ألحّ عليه الضيق ففى المنى سعة ومغانم: بل إنه ليفرح كلما مضى من عمره عام وأقبل عام، بما توسوس له من المنى وعدّ له من كواذب الأحلام.

ألا عاشت هذه الأثرة ليعيش فى ظلها هذا الانسان! . . .

عبد العزيز البشرى

٥ – بين القاهرة وطوس

طهران الى نيسابور

للدكتور عبد الوهاب عزام

تلقينا يوم قدومنا طهران دعوات كثيرة إلى حفلات رتبتها الحكومة – دعوات باسم رئيس الوزراء ووزراء الداخلية والخارجية والمعارف، ولجنة الآثار القومية، ونادى «إيران جوان». وكانت دعوة رئيس الوزراء إلى العشاء فى قصر گلستان، والدعوات الأخرى إلى الغداء فى دار البلدية ونادى إيران. وقد دعت لجنة الآثار إلى شهود التمثيل مرتين فى مسرح «مسالن نيكوئى» وإلى شهود لعب الجوكان وألعاب أخرى فى ميدان سلطنت آباد

تعشينا الليلة الأولى فى القصر الملكى. قصر گلستان، وهو بناء جميل يرى الداخل إليه حديقة فيها أحواض ماء كبيرة، وقد رأينا على حافة الأحواض شموعاً كثيرة. توقدت فيرى للألائها على صفحة الماء رواء جميل

وصعدنا إلى بهو فسيح غشيت جدُره وسقفه بالمرايا وقطع البلور – وهذه زينة شائعة فى إيران رأيناها فى أمكنة كثيرة – وُصفت فى جوانب المكان دواليب فيها ذخائر الملوك السالفين: قطع كبيرة من الأحجار النفيسة، وسيوف وخناجر وتروس، وأدوات للزينة، وأباريق وطسوت، كل ذلك محلى بالماس والياقوت، والعقيق والفيروز، وفى صدر المكان عرش محلى بالأحجار الثمينة له مسند على صورة ذنب الطاووس ويسمى عرش الطاووس، وكذلك رأينا كتباً قديمة قيمة فيها من عجائب الخط والنقش والتجليد آيات من الصناعات الاسلامية

أمتعنا النفس رؤية هذه الأعلاق، ثم تعشينا، وشهدنا بعد العشاء ألعاباً نارية كثيرة

ومن الأبنية الفخمة التى رأيناها فى طهران مسجد سپاهسلار وهو مسجد كبير فيه مدرسة تسمى الآن مدرسة المعقول والمنقول، ولها مكتبة بها مخطوطات قيمة، ومساجد إيران كلها متشابهة فى قيامها على عقود كبيرة وقباب، وفيما يجللها من الكاشانى، والخط الجميل

وزرنا مجلس الشورى الملى (البرلمان) وهو بناء جديد رائع تناولنا الشاى فى الطبقة الثانية منه فى حجرة غشيت جدرها وسقفها بقطع البلور، يتخللها ضوء النهار أوضوء الكهرباء ليلاً فاذا حجرة من النور يحار فيها الطرف

وكذلك رأينا مدرسة الصنائع المستظرفة (الفنون الجميلة) وهى مدرسة ناشئة يرجى لها فى الاحتفاظ بصنائع إيران مستقبل عظيم

وزرنا مصيف جلالة الشاه قصر سعد آباد. وهو بناء جميل فى سفح جبل شمران شمالى طهران، يحلّق على منظر رائع من الأشجار الممتدة على السفح، وتنحدر إليه المياه متدفقة من الجبل. والقصر بناء صغير به بضع حجرات، وقد بنى كله بأحجار ذات ألوان طبيعية مختلفة جلبت اليه من أرجاء البلاد. ومن حجراته واحدة فيها مكتب جلالة الشاه. وقد لفت الأنظار اليه جمال صنعه، وصورة مدفع صغير فوقه، ومقلمة لها سياج من رصاص البنادق. تناولنا الشاى فى حديقة نسقت بها الأزهار تنسيقاً رائعاً. ثم انصرفنا حين أشفقنا من برد العشى

وشهدنا التمثيل مرتين، مثلت فى الليلة الأولى ثلاث قطع من

الشاهنامه . وفى الليلة الثانية قصة سهراب

وشهدنا يوم السبت ١٤ مهرماه (٦ أكتوبر) فى ميدان سلطنت آباد على مقربة من المدينة لعب الجوكان (جوگان بازى) وألعاباً رياضية أخرى (نمايشات زورخانه)

والجوكان لعب الكرة والصولجان على متون الخيل . وكان لعباً شائعاً فى العالم الاسلامى ولا سيما ايران . ويذكر كثيراً فى الشعر الفارسى . وأخذت منه فى اللغة كنايات كقولهم « گوى برد » أى أخذ الكرة ، بمعنى حاز قصب السبق فى اللغة العربية يقول الشيخ سعدى :

« فسحت ميدان أرادت بيار تابزند مرد سخنگوى گوى »

وترجمته : افسح ميدان الارادة ليضرب الرجل المنطيق الكرة أى أحسن الاستماع ليستطيع النصيح أن يتكلم . وكان بجانبى وقت اللعب ملك الشعراء بهار فقلت : كم قرأت عن « أخذ الكرة » فى الشعر الفارسى وما فهمته حقاً إلا الآن

والألعاب الأخرى ، وتسمى « نمايشات زورخانه » ضروب مختلفة من اظهار القوة : ضرب الطبل فجاء جماعة يلبسون سراويلات من الجلد وسائر أجسامهم عار ؛ ونزلوا الى حفرة مستديرة قريبة الغور . وجلس على مقربة منهم رجل على منصة يدق الطبل وينشد شعراً من الشاهنامة وغيرها ، بدأوا يرقصون على هذه الأنغام ، ثم لعبوا ألعاباً مختلفة : يدور واحدهم على نفسه مسرعاً باسطاً يديه أو يحمل حلقة من سلسلة ثقيلة يرفع بها يديه واحدة بعد الأخرى أو يستلق على ظهره ثانياً رجليه ويأخذ بكل يد قطعة من الحديد مبسوطة لها مقبض فى وسطها فيرفع بها يداً بعد أخرى مائلاً على جنبيه ، أو يقوم ممسكاً بيديه حديدتين ثقيلتين يحركهما حركات مختلفة ، وهكذا . وهى ألعاب قديمة تدل على القوة والمران

أمضينا فى طهران خمسة أيام . وطهران مدينة حديثة ، كانت قرية صغيرة بجانب مدينة الرى الكبيرة . ثم بنى لها الشاه طهما سب الصفوى سوراً عظيما . ثم اتخذها آغا محمد خان القاجارى دار ملك ، فشرعت تعظم وتتسع

ويوم الثلاثاء ٣٠ جمادى الثانية (١٩ أكتوبر — ١٧ مهرماه) برحنا طهران مبكرين متوجهين تلقاء مشهد . وبين المدينتين ٨٩٧ كيلا قطعناها فى ثلاثة أيام ؛ وكان جلالة الشاه قد سار الى مشهد قبلنا بيومين

اجتزنا جبال فيروز (فيروزكوه) وهى جبال وعرة مديدة تجهد فيها السيارة صاعدة وهابطة ثلاث ساعات ، وبلغنا مدينة سمنان بعد الظهر فنزلنا داراً بظاهر البلد فى فناء مصنع كبير حديث لغزل القطن ونسجه ، وفى الفناء حوض واسع ، جلسنا على حافته فرفعنا عن الوجوه وعث السفر واسترحنا وتغدينا ، ثم استأنفنا المسير فقطعنا الى دامغان ١١٣ كيلاً ، واخترقنا البلد ولم نقف به

وسأتكلم عن سمنان ودامغان حين أصف عودتنا من مشهد الى طهران . وقطعنا من دامغان الى شاهرود ٦٧ كيلا ، وبلغنا المدينة بعد الغروب ، وقد زين شارعها بسجاجيد كثيرة ، فنزلنا بدار كبيرة خارجها ، نزل بعضنا فى حجراتها وآخرون فى خيام ضربت فى الحديقة وفرشت فرشاً حسناً ، وقد شعرنا بالبرد الشديد فى هذا البلد ، وأصابنى به برد لازمنى حتى عدت الى طهران ، فنغص على السفر قليلاً وأفاتنى بعض المشاهد . فلها فى سفرنا ذكرى لا تنسى

إذا أنت لم تنفع فضر فانما   يرجَّى الفتى كيما يضر وينفعا

وشاهرود قرية غربى خراسان على مقربة من حدود ولاية استر آباد ، طولها ٥٢ درجة وعرضها ٣٦ وارتفاعها ١١١٠ أمتار . وهى مكان تجارى على الجادة من طهران الى مشهد ، ويذهب منها طريقان الى استر آباد . وفيها مجرى ماء عذب ، وبساتينها كثيرة

والى الشمال منها بسـطام بلد الصوفى الكبير أبى يزيد البسطامى المتوفى سنة ٣٦١ ، وبها قبره ؛ وقد تحولت التجارة عنها الى شاهرود فى القرن الماضى فتضاءلت حتى صارت قرية صغيرة . وقد بنى ألجايتو خان من السلاطين الايلخانية مسجد أبى يزيد والمسجد الجامع

— حرصت على زيارة أبى يزيد — فقيل لى ستزوره فى عودتنا من مشهد ، ثم لم يتيسر لنا هذا حينما رجعنا الى شاهرود قافلين الى طهران لضيق الوقت وتعلل سائق السيارة بوعورة الطريق . وأنا أنقل هنا ما كتبه ياقوت وقد زارها قبل سبعة قرون

فاتنى أن أرى الديار بعينى   فلعلى أرى الديار بسمعى

قال ياقوت « وقد رأيت بسطام هذه ، وهي مدينة كبيرة ذات أسواق ، إلا أن أبنيتها مقتصدة ليست من أبنية الأغنياء . وهي في فضاء من الأرض ، وبالقرب منها جبال عظام مشرفة عليها ، ولها نهر كبير جار . ورأيت قبر أبي يزيد البسطامي رحمه الله في وسط البلد في طرف السوق . وهو أبو يزيد طيفور بن عيسى بن شروسان الزاهد البسطامي »

وبسطام ودامغان كانتا من مدن قومس المعروفة في التاريخ الأسلامي

تركنا شاهرود صباحاً ونحن ننشد ما قاله أبو تمام حين اجتاز بقومس وهو يؤم عبدالله بن طاهر في نيسابور

يقول في قومس صحبي وقد أخذت
منا السرى وخطى المهرية القود
أمطلع الشمس تبغي أن تؤم بنا ؟
فقلت كلا ولكن مطلع الجود

ونذكر ما قاله يحيى بن طالب الحنفي :

أقول لأصحابي ونحن بقومس
ونحن على أثباج ساهمة جرد
بعدنا وبيت الله من أرض قرقرى
وعن قاع موحوش وزدنا على البعد

فصلنا من شاهرود والساعة ثمان إلا ربعاً من صباح الأربعاء ومررنا بعد نصف ساعة بقرية قفر اسمها خير آباد . قال سائق السيارة هذه قرية هاجت بساكنيها العقارب ، حتى تعذر عليهم الأقامة بها فهجروها ، ونزلنا بعد ساعة وعشر دقائق في منزل على الطريق اسمه (باغ زيدر) ، فشربنا الشاي على جدول عليه أشجار جميلة . وسلكنا طريقاً موحشة ذات تلال ومحان كثيرة . قال محدثنا كانت طريقاً مخوفة لا يفارقها خطر التركمان . ورأينا هناك قلاعا قديمة مشرفة على الطريق . ونزلنا وقت الظهر في قرية اسمها داوكرزن في خان ضربت فيه خيام كبيرة فاسترحنا وتغدينا ، ثم ركبنا بعد ساعة ونصف نؤم سبزوار . وهي كاسمها في إقليم مخضر ، كثير البساتين فيه مجرى ماء ، وكانت مدينة عامرة ، قامت فيها في القرن الثامن الهجري (٧٣٥ ـ ٧٧٣) أمارة عرف أمراؤها باسم السربداريين (سربدارانُ) وأولهم خواجه عبدالرازق أحد رجال السلطان أبي سعيد آخر ملوك الدولة الأيلخانية ، ودامت الأمارة خمسا وثلاثين سنة تداول فيها الأمر المضطرب اثناعشر أميراً حتى قضى عليهم تيمورلنك

وسبزوار الآن بلدة صغيرة لا يبدو عليها غنى ولا جمال . دخلناها وقد زين شارعها سموط من مصابيح الكهرباء . نزلنا بها وأوينا إلى خان واسع ذي طبقتين ، فرشت حجراته فرشاً حسناً من أجل وفود الفردوسي . وبتنا ليلتنا مسرورين على ما صحب بعضنا من برد شاهرود

نحن الآن على مائة كيل من نيسابور العظيمة . فتنظر في المقال الآتي حديث نيسابور

عبد الوهاب عزام

الذكرى الألفية

لأبي الطيب أحمد المتنبي

للشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي

ما أنت يا احمدُ في دولة الأدب إلاّ الزعيم وإلاّ شاعر العرب
وما تنبأتَ في دين كما زعموا بل في الفصاحة سباقاً وفي الأدب
فكان يوحَى اليك الشعر عن شَحَطٍ وكان يوحَى اليك الشعر عن كثَب
ما كنتَ للشعر تستوحى قوافيه حتى تجيءُ من الأعجاز بالعجب
وكنتَ في قادة الآداب أولهم وكنت أولهم في الجحفل اللجب
وكنت في الشــعر مثل المـاء منطلقاً
وكنت في الحرب مثل النار في الحطب
كم حكمة لك سارت في الورى مثلاً
قد قلتها بلسان الشــاعر الذرب
كم دولة للقريض النــاهض انقلبت
لـكن عرشــك فيها غير منقلب
وقالة الشـــــعر إن نذكر منازلهم
فانت في الرأس والبـاقون في الذنَب
صاحت بغُاثٌ يبازى الشــعر تنقده
فلم يبال بها البــــازى ولم يُجب

***

لأنت عند الأسى في الناس أشــعرهم
وأنت أشــعرهم في سَورة الغضب
تصوّر الشيء في وصــف لحادثة
حتى كأني أرى الموصوف من صقب
بك احتفت بعد ألفٍ قد مضى أممٌ
في مصر، في الشام، في بغداد، في حلب
إن الذى مات عن شــعر هدى أمماً
لخالدٌ في قــلوب الناس والـكتب
بالبغى قد قتلوا للشعر منك أبا فأصبح الشعر من يتم بغير أب
لهفى كثير لو ان اللهف ينفعنى على حياتك إذ أفضت إلى العطب
هى الرزية لاتُنسى فجيعتهـا على توالٍ من الأعصار والحقب
بالشــعر والأدب الأيام طيّبةٌ فان خلت منهما الأيام لم تطب
الدهر جار على الآداب يزهقها وما على الدهر إمّا جار من عتب
القتل رزء وهذا القتــل أفجعه كأنما بك منه الشرّ حلّ وبى
أنت القتيل الذى لا قبر يجمعه من بعد ما مزّقته أظفرُ النُوَب
وربما عرف الأسلاف مصرعَه مما على الأرض فيه من دم سَرِب
القبر قبر فلا يجدى الدفينَ به وإن بنتهأ كفّ القوم من ذهب
مضى يريد حيـــاةً كلُها دعةٌ
وما درى أن غول الموت في الطلب
ولستُ أسأل عنه عند غيلته أكان مضطرباً أم غير مضطرب
مافى الرزيّة للمرزوء مُنتَعَشٌ لا يرقص الطير مذبوحاً من الطرب
ليست بدار أمانٍ يُطمأنّ لها دنيا مصائبُها ينسلنَ من حدَب
قصــيدتى هذه ريحانةٌ عبقت جنيتُها من لباناتى ومن اربى
نظمتها من شعور لى لأهديَهـا إلى أبى الطيّب النهّاض بالأدب
وما الذى قد نظمنا القولَ فيــه سوى
صــدى الذى قاله في سالف الحقب

تحية الرســالة

في مستهل عامها الثالث

للأســـتاذ محمود الخفيف

أردتُ بشــعرىَ إجلالهَا فما طرب القلب إلا لهـا
تبدت لنا في عِطاف الجلال عروســاً تجُررُ أذيالهـا
تناهت اليها معـانى الجمال فما أطلع الشرقُ أمثـالهـا
تسير إلى الناس مَوموقةً وقد أكبر الناسُ إقبالها
عليها من الشرق ديباجةٌ توشح بالســحر سربالها
وقد عقدت تاجها من سناه وصاغت من الحق أحجالها
وفي مقلتيها يشعُّ اليقين ويشغل ذكر العلى بالها
وما حفلت بصغار الأمور وما صحب المينُ أقوالها
ومن ذا رأى قبلها غادةً تقابل بالصفح عذالها ؟

***

تجدد للناس عهــد الوفاء وقد رافق السعدُ آمالها

وتستقبل الفطرَ فى عيدها　　فيصبح نور الهــدى فالها
أشـــيِّع أيامها الحافلات　　وأستعرض اليوم أعمالها
وماعرفت قبلُ غيرَ الرشاد　　وقد سجل الدهرُ أفعالها
ألم تر كيف مشت حُرَّةً　　تفك عن الضاد أغلالها ؟
وتجرى البــلاغة رقراقةً　　فترتشف النفسُ سلسالها
فمن أدب تشتهيه النفوس　　ومن قصَص هو أشهى لها
وتزجى القوافىَ معســـولة　　وتسكب فى القلب جريالها
تسوق العلوم لأهل النهى　　وتفتح للذهن أقفالها
وترفع ثَمَّ صروح الفنون　　وقد كره الناسُ أطــلالها
وتحبو إلى مُسْتَكِنِّ الخدور　　تفتِّق فى الشرق أسدالها
وتخرج مبتدعات العصور　　وتعرض للنــاس أشكالها
وما الشرق إلا معين الفنون　　وإن أخرج الغرب مثَّالها
وماهو فن ولــكنــه　　وميض من الروح أوحى لها
تجدد ما ضيـــهَ العبقرىَّ　　وقد هاج ماضـــيه بلبالها
وتدعو إلى العز فى أمــة　　أطال بنو الغرب إذلالها
تذ كرُ بغدادَ عهدَ الرشيد　　وتحصى بجِلِّقَ أقيالهـــا
وتتلو بمصر حديثَ الخلود　　فتوقظ للجد أشـــبالها
تريك الملاحمَ فى هولها　　وقــد توج النصرُ أبطالها
كأنك تلمح بين السطور　　دخان الحروب وقسطالها
وتسمع فيها صليل السيوف　　وكرَّ الجيــاد وتَصْهالها
وقد ضاق بالجمع رحبُ الفضاء　　وزلزلت الأرض زلزالها
ترى خالداً فى غمار الحتوف　　يخوض إلى النصر أهوالها
وتلقى صلاحا يذل العداة　　وقد كان فى الحرب رئبالها
فيملأ نَفْسَك ماضى البلاد　　ويذكُر قلبُــك ما نالها
وكم جدَّدَ الذكرُ بأس الشعوب　　إذا أقعــد الخوف أعزالها
حمدنا لصاحبها جهـــدَه　　فقد ألهم الشرق إجلالها
«رسالته» فيه رمز الأخاء　　إذا رسم الفــكرُ تمثالها
لقد وحدت فيه شمل الشعوب　　وإن فرَّق الدهر أنسالها
وتهدى إلى الرشد فى أمة　　أراد أولو العــلم إضلالها !
فلا برحت تصطفيها القلوب　　وتســتقبل العينُ إجمالها

محمود الخفيف

الراديو

للأستاذ محمود غنيم

شادٍ ترنَّم لا طيرٌ ولا بشر　　ياصاحب اللحن أين العود والوتر ؟
إنى سمعت لساناً قُدَّ من خشب　　فهل تُرَى بعد هذا ينطق الحجر ؟
لو قلتُ بالجن قلتُ الجن أنطقه
أو قلت بالسحر قلت القوم قد سحروا
صوت (بروما) صداه رنَّ فى أذنى　　كأنما هو من فكَّىَّ منحدر
كأنما كل أذْنٍ أذن (ساريةٍ)　　وكل ناءٍ ينادى نائياً (عُمَر)
هنا الخطيب الذى خانته جرأته　　يقول ما شاء لا جبن ولا خور
فليس يخشى ضجيج القوم إن طربوا
وليس يخشى عجيج القوم إن سخروا
لهفى على صولة الحاكى ودولته　　لقد غدا فى ربيع العمر يحتضر
وآلة جعلت من حجرتى أفقاً　　يرتد منحسراً عن حده البصر
كأنمـا الكرةُ الأرضيــة انحصرت
فى جوفها ، والورى فى جوفها انحصروا
قد حكمتنىَ فى الأصوات لوحتُها　　فصرت أختار ما آتى وما أذر
وكل رقْم عليها حشوُه طرب　　وفيه كنز من الألحان مستتر
قد كنت أغشى بيوتَ اللهو منتقلاً
فصار يسعى إلىَّ اللهو والســـمر
لهـا فم ليس يستعصى على لغة　　على الرطانة والإفصاح مقتدر
عوراء لا تخرج الأصوات من فمها　　إلا إذا ما بدا من عينها الشرر
صماء لــكن تعى ما لا تعى أذن　　بكماء من فمها الأخبار تنتشر
ثرثارة إن أردت القول ثرثرة　　فان أردت اختصاراً فهو مختصر
فى كل يوم نرى للغرب خارقةً　　يكفيه هذا ويكفى المشرقَ النظر
القوم يبتــكرون المعجزاتِ لنا　　ونحن نفتَنّ فى إطراء ما ابتكروا
فهل تُرى الشرقَ قد أدى رسالته　　وهل تُرى أنبياء الغرب قد ظهروا

محمود غنيم

زهرة أقحوان

للأستاذ إيليا أبي ماضي

كان في صدريَ سر كامن كالأفعوان
أتوقاه وأخشى أن يراه من يراني
وإذا لاح أمامي عقل الذعر لساني
لم أخفْــه غير أني خفت أبناء الزمان
ولكم فانٍ نظيري خاف قبلي بطش فاني
لم يَسَع سرى فؤادي لم تسع نفسى المعاني
فقصدت الغاب وحدي والدجى ملقى الجران
ودفنت السر فيـه مثلما يدفن جان
ورأى الليل قتيلى فبـكاه وبكاني
إن لليـل دموعاً لا تراها مقلتـان
كنت حتى مع ضميري أمس في حرب عوان
فانقضى عـهد التجافي وأتى عهـد التداني
خدرت روحي فأمسى شأن جل الخلق شأني
لا أرى في الخمر معنى ولكمْ فيها معــاني
فكأني آلة العـا صر أو إحدى الأواني
لم يعـد قلبي كالبر ق شـديد الخفقان
لم تعـد نفسي كالنج مة ذات اللمعان
بت لا أبكي لمظلو م ولا حرٍّ مهان
لا ولا أحفـل بالبا كي ولو ذا صولجان
صرت كالصخر سواء هادم عندي وبان
يا لأماني الغـوالي يا لأحلامي الحسان!
طوت الغابة سري فانطوت معه الأماني
ضاع لما ضاع شيء من كياني بل كياني
في صباح مستطير كصباح المهرجان
لبست فيـه الروابي حلة من أرجوان
وتبدى الغاب من أو راقه في طيلسـان
ساقني روح خفي نحو ذياك المكان
فاذا بالسر أضحى زهرة من أقحوان

فصول ملخصة في الفلسفة الألمانية

٤ – تطور الحركة الفلسفية في ألمانيا

للأســـتاذ خليل هنداوي

الذات تخرج من نفسها وتعود الى نفسها ، ولكنها تعود أكثر قوة وغنى ، وكل معارضة تلقاها في الخارج لا تزيدها إلا قوة ومضاء . وفي كل جزء من أجزائها تحس أن قوة حيوية جديدة تولدت فيها ، ونهاية أربها أن تعلن فوز سلطان العقل على المادة والطبيعة ، أو كما يقول « فيخت » (اتحاد الذات مع غير الذات) وهذا الاتحاد أو هذا الامتزاج المطلق يجعله فيخت مثله الأعلى ، ووراه الفيلسوف « هيجل » حقيقة من حقائق الوجود

الذات السامية متمثلة في الله ، والذات الالهية هي الكمال الأعلى . والذات الانسانية تمثل – مجازياً – ما يمثله الله – حقيقياً – ولكنها يحدها الزمن وينتظرها الزوال . أما فاعليتها فباقيـة خالدة لتحقق مثلها الأعلى ولتدنو في الشبه طوراً بعد طور — من الآلـه . والآلـه لاحق لنا في تمثيله ولا إثبات وجوده بما هو خارج عن كنهه ، لأن تمثيله معناه تحديده وإبرازه على صورتنا الزائلة ، وجعله وثناً له شأن الأوثان . وإثبات وجوده معناه أن نستعين بيقين مستمد من غيره في سبيل اثباته ، مع أنه هو مصدر كل يقين وهو الفاعل المطلق

موقف من الدين

لم يؤثر شيء من النقد في نفس فيخت كما أثرت فيه تلك الوشاية التي أراد خصومه من ورائها أن يتهموه بالألحاد ، وما زال الألحاد سـيفاً يشهره العاجزون يهولون به على الأقوياء . قابل « فيخت » هذه التهمة بابتسامة كئيبة ، لأنه يعتقد أنه مضمر للدين عاطفة طيبة تشف عنها كتاباته ومقالاته ، وإزاء هذه الوشاية أرسل إلى قومه نداء يدفع به عن نفسه هـذه التهمة الشنيعة ، وهو نداء يطفح حرارة والتهاباً وإيماناً . قال فيـه : « إن الرجل المتدين هو الذي يشترك في تمثيل سـلطة الله على الأرض ، قائمة نفسه حق القيام بما يجب عليها من قواعد الأخلاق . يستحيل عليّ أن أتخذ لي هدفاً وغاية هذه الحياة التي يتبرم الناس

بهمومها وأفراحها . . . وإنما يجب على أن يكون لى غرض مباين لهذه الأغراض . . . إن الأشياء تقاسمنا ـ بحسب أهوائنا ـ أمانينا وميولنا ، فهى تئن إذا أرغمها على الزهو مرغم ، وهى ترجو الانعتاق إذا أمسك الحرية عليها ممسك ، وهذا الأمل المتوقد فى ما هو أسمى وأرفع وفى ما هو أبقى وأخلد ، وهذه السآمة من الأشياء الزائلة الفانية ، كل هذه هى عواطف لا صقة بقلب الانسان ! ووراء ذلك صوت لا يمكن لبشر أن يخنقه إذا علا وارتفع فى صدر الانسان ، يوحى عليه أن هنالك واجباً فرض عليه أن يقوم به لأنه هو الواجب ، والانسان الذى لا مفر له إلا إلى نفسه يسمع ذلك الصوت ويردد معه (ليمنعنى ما يمنع ! فاننى لقائم بواجبي حتى لا يكون هنالك لائم) وهذا الحل الذى وجده هو الذى يجعله محتملاً لهبة الحياة إذا استلمها ، ولانتزاعها منه إذا فقدها ، يقول بنفسه . . . أريد أن أنجز أيامى لأن الواجب يدعونى إلى ذلك . . . أريد أن أتم ما تطلب الحياة مني وما تفرضه على ... إن الحياة مقدسة عندى ! وما قدسها إلا حب الواجب .)

ويرى فيخت وجوب توحيد الأخلاق والدين لأن غايتهما واحدة ووجهتهما واحدة . فالدين بغير أخلاق ماهو إلا مظهر خارجي يغذى العقل بالأوهام والأساطير دون أن يرق به الى ناحية من نواحى الكمال . والأخلاق بغير الدين تتركنا نجتنب الشقاء خشية عاقبته ، دون أن نغرس فى نفوسنا حب الخير لنفسه . ألا ليكن دستورك الشريف فى حياتك أن تريد مايجب ، وأن تطهر إرادتك من أدران هذا العالم ، وتنقذ وجودك منها ليتسنى لك العروج الى عالم هو أسمى من عالمنا الحاضر ، وأن تصرف نفسك عن هذه الحياة الى الحياة الهادئة السعيدة

ويقول أيضاً : « إن مزية الرجل المتدين الحقيقى فى مذهبي هى أن تكون له رغبة واحدة تحدوه ، وفكرة واحدة تسوقه ، صلاته هذه الآية : « ليأت ملكوتك » وفى غير ذلك لايتسع صدره لشيء ، ولاتسعى قدماه إلا فى سبيل واحد يدنيه من غايته ولا يطيع فى كل ما يأتيه من عمل إلا صوت ضميره

على أن روح فيخت الدينية بدأت تبدو كثيراً فى كتاباته الأخيرة التى أراد بها توضيح مذهبه . ففى كتابه « الموجز » نرى نزعته الفكرية التى تؤمن بأن الله قد أناب منابه (الذات المطلقة) على الأرض ، وأن نهاية هذه (الفاعلية) الانسانية تفنى فى وحدة تمزجها مع الألوهية . وفى كتابه (غاية الانسان) يعلن فيخت بأن حقيقة العالم الخارجى بعيدة عن الوضوح والبيان ، ولكن فى الامكان تعليلها بطريقة من طرق الايمان ، أليس هو شعورنا الذى يحفزنا الى معرفة (حقائق الأشياء الخارجة عنا) وهى كائنات لها وظيفتها فى الوجود كما لنا وظيفتنا ، وأرانا مضطرين الى اسعافها فى اكمال وظيفتها

وفى كتابه « معرفة الحياة السعيدة » يبحث مسألة الاتحاد مع واجب الوجود ، وقد يكون فى استطاعتنا القول أن هذا الاتحاد قد يكون اتحاداً صوفياً (يمثل فناء المحب فى المحبوب) لو لم ينبهنا فيخت الى أن هذا الاتحاد ليس باتحاد فارغ — كما نتمثله — وإنما هو اتحاد ملائم لجبلة الله . وإنما الرجل المتدين عنده هو الذى يؤمن ويضع رجاءه ـ لا فى الله ـ لأنه يحمل الله فى قلبه ، ولكن فى الانسانية التى يجاهد فى سبيل إسعادها وإكمالها

« قيمة الفلسفة »

أجمع النقاد على أن فلسفة فيخت ليس لها ذلك الالتئام والاتحاد اللذان تمتاز بهما فلسفة (كانت) ، وإنما هى قوة منبعثة يجهل بواعثها فيخت نفسه . قد لا تتفق وجوهها إلا بجملة امتيازات خاصة لو تأملها متأمل عن كثب لرأى ركاكتها ولمس ضعفها ، فالذات فى نظره هى الفاعل المطلق ، ولكن كيف يسند إليها هذا الأطلاق وهى ليست بالطلقة ، وكيف تكون مطلقة وحولها ذوات كثيرة مثلها ، كل ذات منها مطلقة فى نفسها ؟

إن قيمة فلسفة فيخت لا تتمثل حقيقة فيما اكتشفت وابتدعت ـ فى عوالم النفس ـ فهى لم تكتشف شيئاً ، ولم تكشف عن شيء فى المسائل العلمية ، ولكن هذه الفسفة ستبقى مطبوعة بصفة لا تبلى ، هى سر كل بقائها وعظمتها

قد يأتى يوم يفقد فيه (كانت) كل مناصر ، ولكنه لن يفقد بعض آراء مثمرة جديدة لها خطرها فيما أبدعت ، « وفيخت » لن يفقد بعض صفحاته النقية وبعض آرائه السامية . وهب أنه فقدها ، فهو لن يفقد ذلك المثل الأعلى الذى هام فى طلبه طيلة حياته ، وكان أبلغ وأسمى ما تجلى به مذهبه أن الانسان الأخلاق ـ فى فيخت ـ يغلب على الانسان الفيلسوف ! والانسان الأخلاق ـ فى فيخت ـ يغلب عليه ويسمو عليه الانسان وحده ...

(يتلى) خليل هنداوى

القصص

من الأدب الألماني

التأمين (ضد) امرأة جميلة

للقصصي الألماني هانز كفكا

Hans Kafka

قبيل الساعة السادسة جلس في الغرفة الخلفية لحانة « الطاحونة الملكية » ستة رجال على مائدة مستطيلة . وكل منهم يخشى البدء بالكلام برغم تعارفهم — ذلك التعارف الذي لامفر منه لسكان بلدة صغيرة . وكانوا في حياتهم ومعاشهم متشابهين ، فكلهم موظفون ، لهم مكاتبهم التي يجلسون إليها في مصارف أو مصانع أو محال تجارية . جاءوا جميعاً لأن كلا منهم قد بلغته دعوة للحضور إلى « الطاحونة الملكية » في نفس اليوم من الساعة السادسة لكي يتم تأسيس جمعية عظيمة الخطر والنفع له . وقد طلب إليهم صاحب الدعوة أن يسروا الخبر ، فأخفوه حتى عن نسائهم ، إذ ظنوا أنها مسألة قد تكون خاصة بالرجال . . . ومن يدري ؟ وكان الداعي فطناً إذ خلق لكل منهم آمالاً معسولة . غير أن واحداً منهم لم يعرف شيئاً على وجه التحديد . فانتظروا « الهر فريد » صاحب الدعوة . وكان هذا شاباً رشيقاً ، جوّاباً للبلاد يطويها من المشرق إلى المغرب ، وله مهن غير معروفة بالذات . وكثيراً ما كان شخصه موضع حديث الناس لغريب شأنه

وما انـدقت الساعة السادسة حتى دخل الهر فريد إلى الغرفة ، وقال كمن يرأس جماعة :

« سادتي ! إنه ليسرني أن أراكم مجتمعين كاملي العدد ... » فابتسموا جميعاً ، ولكنهم ازدادوا إليه تطلعاً . وابتسم الهر فريد وتابع قوله :

« كاملي العدد — يا حضرات المختلسين . . . ! »

فذُعر الرجال الستة وهرب الدم من وجه ثلاثة منهم ، وصعد الدم إلى رؤوس الثلاثة الآخرين . وحاول كل منهم أن يكظم غيظه ، أو يرسله كلمة صاخبة يحملها إلى الهر فريد في شيء من الرفق والتودد . أما هو فأخرج من جيبه ورقة قرأ فيها أسماء الحاضرين ، وكان يردف كل اسم بأرقام تتراوح بين الألف والعشرة آلاف . وما كاد ينتهي من ذلك حتى شملهم سكون أشبه بسكون الموت . وبعد هنيهة تشجع من اقترن اسمه بأكبر رقم — وكان صيرفياً في « بنك التجارة » وأراد محاسبة الهر فريد على كلامه فقال له :

« من أين عرفت ذلك ؟ »

فقال : « هــــذا ما لا أريد ذكره الآن . »

فسأله : « أمن رجال الأمن أنت ؟ »

فأجاب : « لا . »

فتنفس الرجال الستة الصعداء . ولما سئل ثانية :

« ألاستغلال الموقف ؟ »

قال « كلا ! » قالها فرحاً وزاد عليها : « وهل لديكم أشياء يستغلها الغير ؟ لقد اختلستم أكثر من نصف ما في خزائنكم ، وأريد الآن أن أوجه إليكم سؤالاً بسيطاً : ماذا تفعلون لو جاء مفتش ؟ »

وانقلب الرجال الستة مرة أخرى الى كتلة من الذعر والمرج ، وتعالت الصيحات وكثرت الأسئلة ، ومضت دقائق يغمغمون دون أن تتميز كلماتهم

وقال الهرفريد : « إني أعرف جيــداً أن ساعتين كفيلتان بدرء الخطر ، إذ النجدات تطلب ، والتلغرافات إلى الأقارب ترسل ، والمحادثات التليفونية مع الأصدقاء تقع . فيتم جمع المبلغ المطلوب ، ويوضع في الخزينة لكي يرد الى أصحابه بعد عملية المراجعة والتفتيش التي قد تستغرق بضع ساعات . ولكن ماذا أنتم فاعلون اذا فشل المسعى مرة ؟

وبدت على الجميع الحيرة . غير أن الهرفريد بسط ذراعيه وقال

« إنى لا أريد بكم سوءاً ، بل لقد جئت لأرشادكم . إنى أعرض عليكم خطة للنجاة ... ماذا ترون فى تنظيم مساعدة سريعة حينما يداهمكم تفتيش على غير انتظار ؟ »

« إنها أسئلة مفجعة . ولكنْ ما هى الخطة : ياسادتى ! يجلس هنا صيارفة ستة لمحال مختلفة . وإذا لم أخطىء التقدير فاثنان منكم فى مصرفين ، وأربعة لأربعة مصانع . فهل يمكن أن يجرى التفتيش عند الجميع فى وقت واحد ؟ كلا ياسادتى ، فهذا من الوجهة العملية لا يمكن ، ولن يمكن وقوعه فى الحياة . وإذاً فهذه المفاجأة غير المرغوب فيها لا تهدد إلا خزينة واحدة . ولا يجىء الدور على الخزينة الثانية حتى ينتهى التفتيش من الخزينة الأولى . ويصح أن أكرر القول بأنه حينما تكون إحدى الخزائن واقعة تحت خطر داهم ، فلن يصيب الخزائن الخمس الأخر شىء قط مهما كان العجز الذى فيها . ولهذا يمكن أخذ الأموال من تلك الخزائن لأنقاذ الخزينة المهددة . ثم بعد مرور الخطر ، أى بعد بضع ساعات ترد الأموال ثانية . هذا كل شىء . وهو بالنسبة اليكم ولموقفكم كبيضة كولومبوس » من أجل هذا وجب عليكم يا سادتى أن تتعاونوا للتأمين ضد الحالات السيئة الطارئة وتجعلونى رئيساً عليكم ، ولابد أن تجعلوا لى على ذلك أجراً شهرياً . وليس هذا بالأمر العسير ، إذ أن الخزائن التى أنقذتكم فى ميسورها ان تتحمل ذلك دون أى مشقة »

وفى الليلة نفسها تألفت فى حانة الطاحونة الملكية شركة للتأمين من نوع جديد ، ثم أملى الرئيس ، الهر فريد ، مواد قانون الشركة ومنها : الدفع فى اللحظة المطلوبة ، رد المبلغ فى ظرف أربع وعشرين ساعة ، عدم تغطية الخسائر السابقة ، يتقى خطر كل اختلاس جديد . ومن ثم تلاشى الرعب وسرى فى النفوس البشر . وكانت أقداح البيرة تملأ باستمرار من جديد . وكان الهر فريد ، المنقذ ، موضع التكريم من الجميع

وتناسوا جميعاً الورقة التى بها الأعداد الصحيحة عن النقص فى كل خزانة ، وكانت على المائدة . فلما أبصرها أحدهم على حين غرة وجه السؤال مرة أخرى الى الهر فريد الذى تصادق مع الجميع فقال : « من أين عرفت ذلك ؟ »

فأجاب : « الآن سأقص عليكم المسألة : طبعاً تعرفون السيدة مارى لو ؟ »

فاندفعوا جميع فى صوت واحد ليقولوا كلمة « لا ! »

فاستأنف قوله : إذاً سأذكر لكم شيئاً عنها . ان السيدة « مارى لو » جذابة ، قصيرة القامة ، شقراء اللون ، تسكن وحدها منزلاً خلوياً فى ظاهر بلدتنا . أما كيف صار لها هذا المنزل ، وكيف حصلت عليه ، ولا زالت تحصل على مطالبها — وحياتها هى الترف بمعناه الكامل — فهذا ما لا يعرفه أحد فى بلدتنا ، أليس كذلك ؟ غير أنى أعرف السر ، إذ هو متعلق بعمل أمارسه فى بعض الأحايين . إن للسيدة « مارى لو » دفتر حساب يحصر فيه جميع دخلها ومصروفها ، وكانت قد دعتنى مرة لتنظيم هذه الدفاتر . ومن ذلك اليوم وأنا أعالج تنظيمها بطريقتى الخاصة . وإذاً فأنا لست رئيس هيئتكم فقط ، ولكنى أيضاً مراجع حسابات السيدة «مارى لو » وهاأنتم أولاء ترون إننى أمارس مهناً غريبة ، ولكنها فى الواقع متصل بعضها ببعض ، ففى أحد دفاتر الدخل وجدت أسماءكم جميعاً ياسادتى ، ووجدت بجانب كل اسم رقماً من الأرقام ... إننى أعرف أنكم متزوجون . ومعنى ذلك أن مرتباتكم الكاملة تقدم أولاً بأول إلى زوجاتكم . . . والأرقام التى وجدتها فى دفتر دخل السيدة «مارى لو» نقلتها هنا بكل أمانة . . . ولا بد أن تكون هذه الأرقام هى اختلاساتكم الجليلة الشأن ، المحسوبة حتى آخر فلس

ولم يغضب هؤلاء السادة لسماع ذلك ، إذ أن هذا الشاب الظريف كان قد دفعهم الى التمتع برؤية مستقبل باهر . ثم لم يغب عنه أن يختم الليلة بالتحدث عن مكارم الأخلاق إذ قال :

« إنه لا يليق بمقامكم أيها السادة أن تجر عليكم الخسارة امرأة مثل السيدة مارى لو . . . إننى أكتفى بهز رأسى . انظروا الى ، إننى لم أجد اسمى فى دفتر دخل السيدة مارى لو ، برغم أنى أعمل معها ليل نهار فى مراجعة حساباتها وشئون أخرى »

وراج التأمين ضد الحالات غير المرغوب فيها بسرعة فائقة ، وأصبح عدد الأعضاء ثلاثين عضواً ، إذ وجد الهر فريد أسماء الأربعة والعشرين الجدد مدرجة واحداً بعد واحد فى دفتر مارى لو . . . وسرعان ما كانت لسيارة جديدة يجوب بها البلاد والمدن المجاورة ، لينشىء فيها فرعاً لشركته التعاونية هذه ؛ أو ليقوم بما يشبه ذلك من الأعمال . وكان كل مطمحه ألا يظهر أى اختلاس فى الوطن الذى يحميه

ومن الأموال المقيدة بأرقام ميتة فى دفتر الخزينـة كان الصيارفة يرتعون فى بحبوحة من العيش . وكان المفتشون والمراقبون يجدون كل شىء على أكمله . وكانت الاحصاءات تدل على أن درجات الشرف ترتفع باستمرار فى البلاد

ولما أن اجتمعت الجمعيـة العمومية فى « حانة الطاحونة الملكية » ، وفقا لتقاليدها القديمة ، كان التقرير السنوى حسناً ، فوافق عليه الثمانمائة عضو بالاجماع . وأذاع الهر فريد فى خطابه السنوى قرب تحقيق ما يأمله من تبليغ أعمال الشركة الى عاصمة الدولة حتى يقضى على الاضطرابات المالية وفق طريقته المبتكرة ، ثم جلس بين عاصفة من التصفيق والابتسام ، وفى هذه اللحظة اندفع باب غرفة الاجتماع ، وتقدم اثنان من مديرى البنوك ، وثلاثة من مديرى المصانع ، يعلو وجوههم الحزن . وكان يحمل كل منهم خطابات ورسائل مطبوعة تشـيد بمكانة شركة التأمين وقدرتها . وظن المجتمعون أن عهد الاختلاسات قد مضى فاختـل التوازن بينهم . ولـكن الهر فريد بقى جالسا لاتفارقه ابتسامته

وسأله المتكلم من بين المديرين الخمسة :

« هل هذه المطبوعات خاصة بكم ؟ »

فرد عليه الهر فريد بالايجاب

ثم استمر فى السؤال : « هل كل هذه البيانات المذكورة صحيحة ؟

فرد عليهم الهر فريد بالايجاب مرة ثانية

وأخيراً طلب خمستهم قبولهم أعضاء فى هذه الشركة العملية ، ولما انتهى الاجتماع السنوى سأل أحدهم الهر فريد :

« لماذا لم تحرك ساكناً فى أول الأمر ، وقد داهمنا هؤلاء المديرون ؟ »

فأجاب : « رأيت من قبل أسماءهم الخمسة فى دفتر حسابات دخل السيدة مارى لو . » ثم أعقب ذلك بقوله : « إننى لا أتمالك غير هز الرأس ، أنى ، لقد تدنس عظماء الرجال »

وما لبث أن طلب المديرون الجدد التوسع فى أعمال الشركة وإصلاح نظمها . فالتأمين ضد الحالات غير المرغوب فيها — بعد أن اتسعت أعمال الشركة وتشعبت — تطلب تنظيماً جديداً وفرض اشتراك (رد ثانية إلى الأعضاء) ليكون بمثابة احتياطى مضمون . ودفع كل عضو مبلغاً عظيما من ماله الخاص . ولما أن تجمعت هذه المبالغ العظيمة أودعت عنـد الرئيس المبجل الهر فريد ، كرصيد سريع لدرء الخطر

* * *

وفى صباح يوم اتصل الهر فريد تليفونياً بالأعضاء السبعين (وهكذا أمسى عددهم) وكلفهم بسرعة جمع مبلغ جسيم . وبالطبع سأله الجميع عن اسم المختلس الذى وقعت له حالة غير مرغوب فيها

فـكان يجيب : « هى شركة التأمين ضد الحالات غير المرغوب فيها . »

وكان كل واحد منهم يعتقد أنه سمع خطأ أو فهم خطأ .

ولـكن الرئيس يؤكد له :

« إنك تسمع ما أقول صحيحاً . إن المديرين ضربوا اليوم موعداً للمراجعة والتفتيش ، وللأسف اختلست أنا الرصيد الذى كان عندى منذ أيام . »

فـكان جواب كل منهم : « ماذا تقول ؟ إنه يجب عليك أن تتحمل الخسارة وحدك وتسد النقص حالاً »

وكانت إجابة الهر فريد الثابتة : « إننى لا أفـكر مطلقاً فى ذلك . إننى عضو فى الشركة كسائر السادة المختلسين »

ثم يسأل كل منهم : « وكم يكون العجز ؟ »

فيجيب : « هو الاحتياطى بأجمعه ، وإنى آسف إذ ليس فى وسعى إعطاء الأرقام الصحيحة . »

وكانت صرخة الغضب تدوى من كل منهم حين يقول : « لماذا ؟ أليس المبلغ مقيداً فى دفتر حسابات دخل السيده لو ؟ »

فيقول الهر فريد متحسراً : « لا . إن صديقتى الجديدة ترهب مسك الدفاتر وتمقته . نعم إن الـكثير من النساء لا يرين للمال حرمة . »

عربها عن الألمانية

من روائع الشرق والغرب

المشهد العام للكون

لشاتوبريان

من كتابه « عبقرية المسيحية »

إن فى الكون إلـهاً تقدسه أعشاب الوادى ، وتمجده أدواح الجبل ، وتسبح بحمده الحشرة ، ويحييه فى الصباح الفيل ، ويغرد به على الغصون الطير ، وتُبرق بقوته الصاعقة ، ويدل على سعته البحر ، والانسان وحده يزعم أن ليس فى الكون إلـه ! كأنه لم يرفع بصره إلى السماء فى بلائه ، أو لم يخفض نظره إلى الأرض فى رخائه ! وكأن الطبيعة بعيدة عن تناوله ، خارجة عن تأمله !

لعله يعتقد أنها أثر من فعل المصادفة ! ولكن أية مصادفة استطاعت أن ترغم مادة نافرة عصيّة على هذا النظام الكامل المحكم ! ؟

إن فى إمكانك أن تقول إن الانسان فكرة الله المُمثَّلة ، وأن العالم مخيّلته المُحسَّة ، وأن الذين قبلوا أن يكون جمال الكون دليلاً على قوة الادراك وسمو البصيرة كان يجب عليهم أن يلاحظوا شيئاً تعظم له كرة العجائب وتزيد به بدائع الخلق : ذلك أن ما ينوّع زخرف الدنيا وجمال الوجود من الحركة والسكون ، والظلام والنور ، وتوالى الفصول ، وسبوح الكواكب ، ليس تعاقبه إلا فى الظاهر ؛ أما فى الواقع فكل شئ ثابت ؛ فالمشهد الذى يمّحى من عيوننا ، يشرق فى نظر قوم غير قومنا . إنما يتغير الناظر ؛ أما المنظر فهو باق على حاله . وهكذا يجمع الله فى صنعه بين الدوام المطلق والدوام المتجدد ، فموضع الأول فى الزمان والثانى فى المكان ، وجمل بالدوام المكانى جمال الكون واحداً ثابتاً غير محدود ، وجمله بالدوام الزمانى متكاثراً متجدداً غير متناه ، وبدون هذا لا يكون تنوع الطبيعة ، وبغير ذلك لا تتم عظمة الخليقة

هنا يتراءى لنا الزمن فى علاقة جديدة ، فأدنى جزء من أجزائه يصير كُلاً تاماً يشمل الكل . وإنْ من شئ إلا يتغير حاله فيه ويختلف نظامه به ، سواء فى ذلك موت الحشرة ، ومولد العالم: فكل دقيقة هى فى ذاتها خلود مصغر

دع فكرك يجمع فى لحظة واحدة أروع حوادث الطبيعة ، فقدر أنك ترى فى وقت واحد جميع الساعات ، وجميع الفصول ، وصبحاً من أصباح الربيع ، وبكرة من بُكر الخريف ، وليلاً مرصعاً بالنجوم ، وليلاً آخر ملبداً بالغيوم ، ومروجاً مطرزة بالزهر ، وغابات محملة بالصقيع ، وحقولاً مذهبة بالحصيد ، تجتمع فى ذهنك فكرة صادقة عن الكون

إن فى الساعة التى تعجب فيها بالشمس وهى تغيب فى حنية المغرب ، إنساناً آخر يعجب بها وهى تلوح من حاشية المشرق فبأى سحر خفى تكون هذه الشمس العجوز التى ترقد مكدودة محترقة فى غبار المساء ، هى فى هذه اللحظة نفسها تلك الشمس الشابة التى تستيقظ من خدر الصباح مبللة بالأنداء ؟ !

فى كل لحظة من لحظات النهار تشرق الشمس ، وتسطع فى السمت ، وتغرب عن هذا العالم ، أو قل توهمنا مشاعرنا ذلك ؛ والواقع أن ليس هناك شرق ولا ظهر ولا غرب ! إنما يرتد كل ذلك إلى نقطة محدودة ترسل فيها شعلة النهار فى جوهر واحد ، ثلاثة أضواء فى وقت معاً

من بدائع طاغور

من كتابه (القربان الغنائى)

(جيتنجالى)

— ٤ —

يا حياة حياتى ! أنا أجتهد دائماً أن أحفظ جسمى من الدنس ، لأنى أعلم أن لمستك الحية وَسْمٌ على كل عضو من أعضائى

أنا أجتهد دائماً أن أحفظ فكرى من الخطأ ، لأنى أعلم أنك أنت الحقيقة التى تبعث نور العقل فى ذهنى

أنا أجتهد دائماً أن أذود عن قلبي الخبث ، وأدفع عن حبي الذبول ، لأني أعلم أن مسكنك هو الهيكل السري من قلبي

وسيكون قصاراي أن أجتليك في كل عمل ، لأني أعلم أن قدرتك هي التي تمدني بالقوة لأعمل

— ٢٦ —

أقبل فجلس الى جانبي ولم أستيقظ ! فعلى نومي الشقي اللعنة ! جاء في سجوّ الليـــل وفي يده قيثارته ، ثم غنى فاهتزت أحلامي لأنغامه !

وا أسفاه ! لماذا تذهب لياليّ ضياعاً ؟ ! واهفتاه ! لماذا يفر من مشهدي ، ذلك الذي تمس أنفاسه مرقدي ؟

— ٣٥ —

هناك حيث الفكر آمن والرأس مرفوع ؛

هناك حيث المعرفة حرة ؛

هناك حيث العالم لم يُجزَّأ أجزاء ضيقة مشتركة ؛

هناك حيث الكلمات تصدر من أعماق الاخلاص والصدق ،

هناك حيث الجهد اللاغب يبسط الأذرع نحو الكمال ؛

هناك حيث البرق الساري للعقل لا يضل ضلال الموت في بيداء التقاليد والعرف ،

هناك حيث الذهن يتقدم على نور قيـــادتك في تحرير الفكر والعمل :

هناك في هذا الفردوس ، فردوس الحرية ، تَطَوَّل عليّ يا أبي أن يكون موطني هناك !

طاغور

إني شكرت لظالمي ظلمي وغفرت ذاك له على علمي
ورأيته أســـدى إليّ يداً لما أبان بجهله حلمي
رجعت إساءته إلى وإحســـاني فعاد مضاعف الجرم
وكأنما الأحسان كان له وأنا المسيء إليه في الحكم
ما زال يظلمني وأرحمه حتى بكيت له من الظلم

« أبو العتاهية »

لقد جاءنا هذا الشتاء وتحته فقير مُعرّى أو أمير مُدَوَّج
وقد يُرزق المجدود أقوات أمة ويحرم قوتاً واحداً وهو أحوج

أحسن جواراً للفتاة وعُدَّها أخت السماك على دنو الدار
كتجاور العينين لن تتلاقيا وحجار بينهما قصير جدار

ياقوت ! ما أنت ياقوتٌ ولا ذهب
فكيف تُعجز أقواماً مساكينا ؟
وأحسب الناس لو أعطوا زكاتهمُ
لما رأيت بني الأعـــدام شاكينا

« أبو العلاء »

كأن بلاد الله وهي عريضة على الخائف المطلوب كِفّة حابل
يؤدّي إليه أن كل ثَنِيَّةٍ تَيَمَّمها تُرمى اليه بقاتل

« القتال الكلابي »

لقد خفت حتى خلت أن ليس ناظر
الى أحـــد غيري فكدت أطير
وليس فم إلا بسري محـــدث
وليس يد إلا إليّ تُشـــير

« عبيد بن أيوب »

مثل الحقد في القلب إذا لم يجد محركاً مثل الجمر المكنون إذا لم يجد حطبا ، فليس ينفك الحقد متطلعاً إلى العلل كما تبتغي النار الحطب ، فاذا وجد علة استعر فلا يطفئه حسن كلام ولا لين ولا رفق ولا خضوع ولا تضرع ولا مصانعة ولا شيء دون تلف الأنفس وذهاب الأرواح

***

لكن مما تصرف به الأذى والعذاب عن نفسك ألا تكون حسوداً ، فان الحسد خلق لئيم ، ومن لؤمه أن يوكل بالأدنى فالأدنى من الأقارب والاكفاء الخلطاء . فليكن ما تقابل به الحسد أن تعلم أن خير ما تكون حين تكون مع من هو خير منك ، وان غُنما لك أن يكون عشيرك وخليطك أفضل منك في العلم فتقتبس من علمه ، وأفضل منك في القوة فيدفع عنك بقوته ، وأفضل منك في المال فتفيد من ماله ، وأفضل منك في الجاه فتصيب حاجتك بجاهه ، وأفضل منك في الدين فتزداد صلاحاً بصلاحه

***

ابذل لصديقك دمك ومالك ، ولمعرفتك رفدك ومحضرك ، وللعامة بشرك وتحننك ، ولعدوك عدلك ، واضنن بعرضك ودينك على كل أحد

« ابن المقفع »

من هنا ومن هناك

هل لامرتين عربي ؟

جاء في كتاب (لامرتين) تأليف الأستاذين ج كلويه ، وش . فيدال[1] ما نصه :

« كان لامرتين يقول من ذات نفسه إنه تحدر من أصل عربي وإن استقرار آل مرتين Alamurtine في مقاطعة (ماكونيه) يرجع تاريخه إلى الغزوة . وهذا التأكيد لا نجد له أساساً مادمنا لا نستطيع الرجوع بأصل آبائه إلى ما قبل القرن السادس عشر

فني سنة ١٥٧٢ ذُكر واحد من أسرة لامرتين في مذكرات كورديه (Cordé) بين النبلاء والوجهاء الذين أرغموا على أداء مبلغ جسيم من المال إلى (كلود دجيز) أسقف (كليمي) . . .

ويقول م . بيير دلا كروتل M. Pierre de Lacretelle إن جد لامرتين ، وهو لويس فرنسيس دلامرتين زور في سجل الأحوال الشخصية فحوّل اسم آلمرتين إلى دلامرتين »

ويقول بيير دلا كروتل في كتابه (أصل لامرتين وشبابه)[2]

« . . وأصل الاسم هو ألامرتين Alamartine أو أللامرتين Allamartine كما كان يكتبه ، ولا يزال يُسمع إلى هذا اليوم في برغونيا Bargone وفي منطقة اللوار الأعلى . أما موطن الأسرة الأول فهو اقليم كاروليه Charollais حيث يجد الباحث في أخريات القرن الخامس عشر أسماء ألابرت Alaberth وآلابرناد Alabernade وآلابلانش Alablanche ، وقد تحولت فيما بعد ، إلى دي ، لا ، برت De La berth ، وديلابرت Delaberth ، ودي لا بلانش De La blanshe

أما الأصل العربي الذي كان يعترف به لامرتين في زهو وفخر فربما كان عذراً جميلاً عن استسلامه للكسل الرفيع ، وحبه الشديد لأنواع الحيوان ، وتأثير جاذبية الشرق فيه وسلطانها عليه . ولا تزال هذه النسبة من المسائل التي يغيم على حقيقتها الشك »

فأنت ترى أن لامرتين يعترف في صراحة وثقة بجنسيته العربية ، ولكن الكتاب الفرنسيين بالطبع لا يصدقون هذا الاعتراف ، ولا يؤيدون هذه النسبة ، وإنما ينتحلون لها شتى الأسباب ومختلف العلل . فهل فينا من يصمد لهذا البحث في مظانه فيضيف إلى عبقريات العرب هذه العبقرية الخالدة ، ويُرجع إلى أرواح الشرق هذه الروح الشاردة ؟

أجمل تعاريف الشعر

ذكر بعض المؤرخين أن جيوزني كاردوسي Giosné Carducci سئل مرة عن خير تعريف للشعر ، فقال إن خير التعاريف تعريف الأب اكساڤيه بيتينللي خصم دانتي الألد وهو قوله : « الشعر حلم يتهيأ في يقظة العقل » ، وكتب أدريانو تلغر Adriano Tilgher في مؤلفه دراسة الشعر Sludi di Poetica شرحاً دقيقاً لهذا التعريف قال : « لو تأملت قليلاً ، وجدت أن التعريف الذي يتصل بعلم الجمال الحديث اتصالاً مباشراً إنما يتمثل فيما قاله ذلك اليسوعي عدو دانتي (يقصد به الأب اكساڤييه) ، وهو أن الفن حلم . فهو نشاط روحي يتميز بطبيعة العقل وبالتفكير والمنطق ، ولكنه حلم في يقظة العقل ؛ فالفنان يحلم ، ولكنه يدرك مايتراءى له ، أي يحلم وعيناه مفتوحتان ، وهو يحلم ولكن نتيجة ذلك الحلم تخالف ما نحلم به ونحن رقود . فحلم الفنان إغفاءة في يقظة الضمير ورقابة العقل ، فلا هو حلم كما نفهم من كلمة حلم ، ولا هو نتيجة خالصة للعقل ، ولكنه شيء لا هو بالحلم ولا هو بالإدراك . وإذا كان الفن حلماً يتهيأ في حالة اليقظة فمعنى ذلك أن الفن نتيجة روحية سابقة لانتباه العقل ، منطقية سابقة للمنطق ؛ وهو إدراك خالص للتصور وللضمير في وقت واحد . أي إن هؤلاء الذين هم في حضرة عقولهم وصحو ضمائرهم وكمال يقظتهم الفنية لم يخرجوا عن الصواب

من بشار بن عوانة ؟

هل عثر أديب من الأدباء على اسم هذا الشاعر في غير المقامة

(1) « Lamartine » Par G. Cluyet et C. Fegdal.
Collectiun de « La Vie anecdotique et pittoresque des Grands Ecrivains »

(2) « Les Origines et la jeunesse de Lamartine » Par Pierre de Lacretelle. Hochette 1911

البشرية لبديع الزمان الهمذاني ، وكتاب تاريخ أدب اللغة العربية للمرحوم جورجي زيدان ، وكتب المخطوطات لوزارة المعارف المصرية ؟ أما أنا فلم يقع لي هذا الأسم في سفر من أسفار التاريخ ولا في كتاب من كتب الأدب على كثرة ما قرأت ، فرجح عندي أن بشر بن عوانة الأسدي شخصية خرافية من شخصيات المقامات ، خلقها البديع ، وأجرى على لسانها تلك القصيدة المشهورة في وصف قتال الأسد

وقد راعى البديع في نظمها الصبغة المحلية للعصر الجاهلي الذي فرض وقوع حادثها فيه ، لجاءت في لغتها وأسلوبها وصورها أشبه بما قيل من نوعها في ذلك العصر ، فدخلت في مختار الشعر ، وسارت على ألسنة الشعراء ، حتى خدعت رجال الأدب في وزارة المعارف ، فحفظوها للطلاب على أنها قصيدة جاهلية لشاعر جاهلي اسمه بشر بن عوانة كان من أمره وخبره ما أخبر عنه البديع في مقامته . وجاء المرحوم جورجي زيدان ، فوجد القصيدة تدرس في المدارس ، وصاحبها يذكر في الشعراء ، فأثبته في الجاهليين ، وترجم له ترجمة قصيرة لم يرجع فيها إلى غير تلك المقامة . وهذا مثل قريب تعرف منه كيف كانت الأساطير تدخل في التاريخ ، والشخصيات الخرافية تدخل في الأدب ، والقصائد المنحولة تدخل في الشعر

طبقات الجو العليا : Stratosphére

نشرت جريدة « نوفيل ليترير » مقالاً علمياً قيماً لروجيه سيمونيت نقتطف منه الجزء الآتي :

« من المعروف أنه كلما صعدنا في طبقات الجو العليا ازدادت الطبقة الهوائية انبساطاً وازداد انتشار الهواء وقلت كثافته ، ونقص تركيبه ، وازداد صفاؤه حتى يصير رائقاً لا تشوبه ذرات الغبار التي تكون أعمدة طويلة من التراب قرب سطح الأرض ، والهواء في تلك الطبقات غير صالح للحياة لانعدام الاكسيجين . وقد حاول علماء الطبيعة اليوم الوصول إلى تلك الطبقات واكتشافها لما لها من الفوائد العلمية العظيمة ، فقاموا بكثير من المحاولات والتجارب نجح بعضها وأخفق الآخر ، إذ أرسلوا مناطيدهم الكشافة ، وبهذه الطريقة توصلوا إلى معرفة بعض حقائق علمية ذات قيمة كبيرة . من ذلك أن الحرارة تنخفض درجة مئوية كلما ارتفعنا مائة وخمسين متراً فوق المستوى الأول لهذه الطبقات المجهولة التي أسموها Stratosphére وهـــذا الارتفاع يتغير إلى مائة متر في الهواء الجاف وإلى مائتي متر في الهواء الرطب . ولاحظوا أيضاً أن أقل درجة حرارة جوية تبلغ ٨٥ فوق المنطقة الاستوائيـة على ارتفاع عشرة آلاف إلى خمسة عشر ألف متر ، وأن ضغط الهواء ينقص بسرعة هائلة فيصير نصف ضغط الهواء على سطح البحر على ارتفاع ستة آلاف متر ، وينقص إلى الربع على ارتفاع أحد عشر ألف متر ، وإلى عشر هذا القياس على ارتفاع ستة عشر ألف متر

واكتشاف هذه الطبقات ذو فائدة كبيرة ، إذ يصبح في مقدورنا أن نعرف موضع الأزون ozone ، وهو الذي يمتص أشعة الشمس فوق البنفسجية التي تهيئ لنا الحيـاة على سطح الأرض . ومن بين المعضلات التي يحاولون حلها أيضاً اكتشاف الأشعة الكوكبية rayonnement Cosmique ، ومن ثم مسألة أخرى تهم جماعة اللاسلكيين وهي دراسة الأحوال الكهربائية والحرارية لتلك المناطق الصامتة Zones de Silance كما يسمونها ، إذ أن اكتشافها سيفتح أمام العالم عصراً جديداً بل عالماً جديداً بأكمله ، وقد نوه تسير تبيك د بورت Tissérenic de Port مؤسس مرصد « تراب » بذلك فقال : (إن مشكلات الأرض تجد حلها في السماء)

ويلاحظ أن الطائرة التي تحاول أن تحلق فوق هذه الطبقات تلقى حتفها لساعتها ، إذ يقف محركها لعدم وجود الأكسيجين كما أن الطبقات لا يمكن تحاملها لتمدد الهواء تمدداً عظيماً ، وقلة كثافته نتيجة لذلك

ويحاول كثير من العلماء اليوم تذليل تلك الصعوبات باختراع الطائرات التي يمكنها أن تصعد فوق هذه الطبقات ، ولقد بدأ كثير منهم بالقيام بهذه المحاولات ، ونذكر منهم ألبرت كاكوت Albert Caquot ، ومساعده فرمان Ferman ، وأوجست راتو Ouguste Ratean ، وليسيون موميـه Liucion Momy ، ولئن أفضت أكثر هذه المحاولات الى الفشل فان النتائج تدعو الى التفاءل بالمستقبل . واذا جاء الوقت الذي يمكن فيه اختراع أمثال هذه الطائرات التي تحلق فوق هذه الأجواء أمكننا الطواف حول العالم في أقل من أربعين ساعة ، وأصبح في المستطاع أن نصل من باريس الى نيويورك في أقل من يومين ، لأن سرعة هذه الطائرات ستبلغ ألف كيلو متر في الساعة لقلة الدوائق في الأجواء العليـا ، هذا الى المنافع الأخرى التي تختفي تحت ستار هذه الطبقات المجهولة

البريد الأدبي

هل تتدخل الدولة لحماية الآداب القومية ؟

هل تمتد سياسة الحماية القومية الى الآداب والفنون ؟ أو بعبارة أخرى هل أضحى من الضروري أن تعامل الثمرات العقلية والفنية كما تعامل الصناعات والمحاصيل القومية ، فتفرض لها قوانين خاصة لحمايتها من المنافسات الأجنبية ؟ هذا موضوع يتناوله الجدل اليوم فى فرنسا . والمعروف أن الأدب الفرنسى فى مقدمة الآداب العالمية قوة وازدهاراً ؛ ولكن الدوائر الأدبية والفنية فى فرنسا أخذت تنظر بعين الجزع الى اشتداد المنافسة الأجنبية للأدب الفرنسى ، والى طغيان سيل الثقافة والآداب الأجنبية فى فرنسا ، وقد نشرت جريدة « الجورنال » البارزية مقالاً فى هذا الموضوع بقلم الكاتب الفرنسى جاستون راجو رئيس جمعية الكتاب الفرنسيين ، يتساءل فيه عما إذا كان من الواجب أن تتقدم الحكومة لحماية الثمرات العقلية كما دعيت الى حماية القمح والنبيذ ، ذلك أنك لاتكاد تفتح صحيفة يومية أو مجلة أسبوعية أو تشاهد واجهة مكتبة ، أو إعلان مسرح ، حتى ترى هنا قطعة ألمانية ، وهناك قطعة انكليزية ، أو اوبرا نمسوية ، وهكذا فى سائر نواحى الأدب والفن يتبوأ العنصر الأجنبي مكانته ، وإذا كان التعاون العقلى هو شعار جميع الأمم المتمدنة ، فان ظروف العصر ، ومصاعب الحياة الاقتصادية تجعل من المحتوم أن تأخذ الثمرات العقلية مكانتها أولاً وأن يعيش الكتاب المحليون

ويضرب مسيو راجو لذلك مثلاً عملياً فيقول : إن القصة الفرنسية القصيرة التى يؤلفها كاتب فرنسى متوسط يدفع فيها إذا نشرت فى مجلة أسبوعية كبيرة بين ألفين وثلاثة آلاف فرنك ؛ ولكن القصة الأجنبية القصيرة المماثلة لها فى النوع والقيمة يدفع فيها ألف فرنك فقط . ويبدو هذا الفرق بالأخص فى الروايات والقطع الكبيرة ؛ فان القطع المترجمة لاتساوى من حيث الأجر أكثر من ربع القطع الفرنسية ، وقد اشتدت هذه المنافسة حتى أن قيم القطع المؤلفة قد انحط انحطاطاً كبيراً

وقد أثارت جمعية الكتاب هذا الموضوع الخطير وانتدبت لجنة لبحثه

ثم يقول مسيو راجو : اذا كانت الأمور قد وصلت الى هذا الحد ، أفلا تدعو مصلحة الكتاب الحيوية الى التماس الحماية ؟ وهل يكون تحقيق هذه الحماية بأصعب من حماية المزارعين ؟ إن الأدب الفرنسى من أكثر آداب العالم انتشاراً ، وأشدها عرضة للترجمة والاقتباس ، وفرنسا فى ذلك تتفوق فى نسبة الصادر الى الوارد تفوقاً كبيراً . وفكرة الحماية تقتضى المساواة والتبادل ، فاذا طبقت هذه الحماية فان انتشار الكتب والصحف والقطع الفرنسية يحد تحديداً شديداً . هذا من الناحية المادية ومن الناحية المعنوية يخشى من فكرة الحماية على نفوذ فرنسا الثقافى والأدبى ؛ ذلك أن انكلترا وايطاليا تشجع كل منهما فكرة الترجمة والاقتباس من آدابهما الى أعظم حد توسلاً الى نشر النفوذ المعنوى حيثما تنتشر الثقافة الانكليزية أو الايطالية ؛ والحد من هذا الانتشار يصيب مصالح فرنسا المعنوية بضرر عظيم

وعلى هذا فان فوائد هذه الحماية ومضارها تتعادلان إذا صدرت من الحكومة . ولكن الحل الأمثل هو أن تكون هذه الحماية اختيارية ، وأن تصدر من الفرنسى إلى الفرنسى سواء فى الانتاج والاستهلاك ؛ فاذا كان شعار الفرنسيين « اقرأوا المؤلفات الفرنسية ! واطبعوا المؤلفات الفرنسية ! » تحققت هذه الحماية على الوجه الأكمل دون أن يتعرض التفكير الفرنسى للخصومة أو الانكماش

نقول : فما قول كتابنا المصريين فى ذلك ؟

مذكرات الامبراطورة مارى لويز

ذكرنا فى عدد سابق أن مجموعة ثمينة من خطابات نابليون إلى زوجه الامبراطورة مارى لويز عرضت للبيع فى لندن ، واشترتها الحكومة الفرنسية بمبلغ خمسة عشر ألف جنيه ؛ وقد بيعت فى نفس الوقت مذكرات الامبراطورة مارى لويز مكتوبة بخطها ،

فاشتراها أحد الهواة بمبلغ ٤٩٠ جنيهاً ، وهذه المذكرات عبارة عن جريدة تبدأ منذ غادرت فينا فى رحلة العرس حتى استقرارها فى باريس . وفيها أخبار وحقائق غريبة عن علائق الامبراطور بزوجه الفتية ؛ وتقول مارى لويز فى أكثر من موضع إنها كانت تؤنب زوجها ، وتدفعه أحياناً كما تدفع جندياً بسيطاً . وفى مكان آخر تصف رحلتها إلى البارجة الحربية « شارلمان » فى ثغر شربور ، وتقول إنها اضطرت أثناء طوافها بالسفينة غير مرة أن تشمر عن ساقيها وأنها سوف ترتدى فى المستقبل « سروالاً » إذا ما أرادت أن تزور السفن الحربية

وبيع فى نفس هذه الجلسة قرطان كانت تتحلى بهما الامبراطورة جوزفين زوجة نابوليون الأولى ، أثناء حفلة تتويجها بمبلغ ألف وخمسمائة جنيه ، وبيعت مجموعة من خطابات نابوليون إلى المارشال مكدونالد بمبلغ ١٩٠ جنيهاً

علم رياضى جديد

خطب الأستاذ أميل بوريل رئيس أكاديمية العلوم الفرنسية والأستاذ بكلية العلوم فى الأكاديمية منوهاً بأهمية علم أو فرع رياضى جديد أدخل فى برنامج الجامعات من شأنه أن يسهل البحث والدراسة فى بعض العلوم ، وبالأخص فى الاحصاء والاقتصاد السياسى والمسائل النقدية ، والعلوم البيولوجية والطبيعية والفلكية ، وهذا الفرع هو علم « تقدير الاحتمالات » وهو فرع له خطورته فى الفكرة العلمية كلها . وسوف يجدد مسائل العلم والفلسفة الخالدة التى وضعها الفلاسفة اليونان ، وبحثها علماء العصور والأجيال كلها . وقد كان له شأن فى تغيير فكرة « الجبر » الطبيعى

فى تشيكوسلوفاكيا

توفيت أخيراً فى براج فنانة تشيكوسلافية عظيمة هى الآنسة زدنكا براوبرڤا ، وقد كانت من زعيمات التفكير والفن ، ومن أرفع سيدات براج ثقافة وذكاء وسحراً ، وهى ابنة سياسى كبير كان نائباً فى البرلمان النمسوى أيام الأمبراطورية ، ونشأت فنانة بالطبيعة وظهرت فى التصوير بسرعة ؛ وهى أول من أنشأ فن تصوير الكتب فى تشيكوسلوفاكيا ، ولم يكن بين فنانى براج أقدر منها فى إبراز الصور والمناظر القومية فى روعة قوتها ونواحيها الشعرية ؛ ولها فصول ورسائل قوية فى تاريخ براج ، وصور بديعة لمناظرها ، وكان لها أيضاً صلات وثيقة بدوائر باريس الفنية حيث تلقت ثقافتها وتربيتها ، وكانت فضلاً عن فنها وأدبها من زعيمات النهضة الوطنية فى تشيكوسلوفاكيا ، ومن زعيمات الحركة النسائية فيها

أوسمة العلم النمسوى

قرر رئيس الجمهورية النمسوية أن يمنح وسام الشرف للفنون والعلوم الى الدكتور اوزوالد ريدلخ رئيس أكاديمية العلوم ، والدكتور ازلسبرج الجراح الأشهر ، والدكتور فلاساك ، والأستاذ فرانز سميث أستاذ الموسيقى والتمثيل بالأكاديمية الحكومية ، والى الكاتبة الشهيرة اريكا هاندل مازيتى ، والى الدكتور هولسميستر المثال الكبير ، والى الدكتور كارل شينهير الكاتب الأشهر

هذا وقد عقد احتفال رسمى فخم ببهو أكاديمية العلوم ، وقدمت فيه جائزة الفن النمسوى التى سبق أن أشرنا اليها الى الفائزين بها وهما الأستاذان هربرت بكل وفالتر ريتر ، وألقى الدكتور شوشنج رئيس الوزارة النمسوية بهذه المناسبة خطابا نوه فيه بأهمية الفنون والفنانين فى حياة الأمم

الكلمات العربية فى اللغة الانكليزية

لما فرغت نسخ الطبعة الأخيرة من معجم وبستر الانكليزى المشهور دعت لجنة تنقيحه الدكتور فيليب حتى الأستاذ المساعد للغات السامية فى جامعة برنستن للاشتراك معها فى تنقيح الألفاظ الانكليزية المأخوذة من لغات سامية فى الطبعة الجديدة

وقد صدرت هذه الطبعة فى أمريكا الآن بعد ما قضت لجنة التنقيح أكثر من ثمانى سنوات فى اعدادها

وفى الطبعة الجديدة من معجم وبستر ستمائة ألف كلمة مأخوذة من اللغة العربية ، منها ٥٠٠ كلمة من الألفاظ المستعملة فى الكتابة والأحاديث العادية ، والنصف الآخر فى الشئون الفنية

الكتب

جبران خليل جبران

تأليف الأستاذ ميخائيل نعيمة

يقع فى ٣٠٧ صفحات من القطع الكبير ، ثمنه عشرون فرنكا ذهبا بطلب من المؤلف فى بسكنتا لبنان ، ومن المكاتب الشهيرة فى الأقطار العربية وفى مصر من مكتبة الهلال

هذا كتاب من كتب التراجم ، أخرجه للناس كاتب له فى الشرق العربى مكانة ، يحلل فيه حياة صديق عزيز عليه ، وهذا كما نرى موقف من أدق المواقف التى يصادفها أديب ، إذا أراد أن يتوخى الأنصاف فلا يظلم صاحبه ولايظلم التاريخ . ولقد أحس المؤلف دقة موقفه كما يتضح فى مقدمة كتابه ، وعلى هذا الأساس سأبنى رأيى فى نقد ذلك الكتاب

ويحسن أولاً أن أعطى القارىء فكرة عامة عن تقسيم الكتاب وطريقة السير فى موضوعه ، ولست أسير فى التقسيم حسب أبوابه ، بل لقد أحسست بعد قراءته أنه ثلاثة أقسام عامة أولها : حياة جبران قبل أن يعرفه المؤلف ، ثم حياتهما معاً ، وأخيراً تجد ملحقاً فى ذيل الكتاب عن وصية جبران ورسائله الى المؤلف وتخليده ، وغير ذلك مما حدث بعد موته

فالكتاب كما نرى وصف حياة رجل من أولها حتى خاتمتها . وفى كتب التراجم إما أن يكون المؤلف غريباً عما يكتب عنه ، أو صديقاً له . بيد أن هذا النوع من التأليف أو هذه الناحية من نواحى الكتابة تسير أو ينبغى أن تسير فى أساسها وجوهرها وفق ما اصطلح عليه الأدباء فى هذا الباب الذى يعتبر فى ذاته فناً من فنون الكتابة كسواه من الفنون ، مثل القصص والروايات المسرحية ، وكتب النقد وغيرها

يبدأ المؤلف فى كتب التراجم عادة بوصف الأسرة التى ولد منها صاحب الترجمة ، كصورة لبيئته المنزلية وما قد يختلط بدمه من وراثة ، ثم يأخذ فى وصف بيئته الطبيعية والاجتماعية مصوراً طفولته وأخلاقه فى تلك الفترة وما باقى من تربية ، وما كان من أثرها فى حياته المستقبلة ، ثم يتدرج به فى مراحل الحياة فى تسلسل متصل ووحدة مترابطة الى ما صادفه من حوادث ، مبيناً علاقتها بفنه وأثرها فى توجيهه ، وفى ضوء ذلك كله يحلل آثاره موضحاً ما فيها من تأثر بما سلف ، على أن يكون أساس ذلك كله الحقيقة لا الخيال . فالأسناد الصحيح القوى فى كتب التراجم عنصرها الجوهرى ، ولا سيما إذا كان المؤلف صديقاً لمن يتحدث الى الناس عنه ، وإذا أراد المؤلف أن يقول رأيه فى آثار صاحبه وفيما تخلل حياته من قوة أوضعف ، فليبتعد عن التحيز إن أراد الكمال

وبعد ، فماذا رأيت فى كتاب الأستاذ ميخائيل عن صاحبه المرحوم جبران خليل جبران ؟ . مضيت فى قراءته فاذا بالمؤلف يسير فيه على نهج غريب ، حتى لقد كنت أحسبنى فى القسم الأول حيال قصة لا حيال شخص معروف ، فلقد أحاطنى المؤلف بجو من الخيال تحت عنوان خيالات بشرى ، وراح يصف لحظة مولد جبران ، وما كان من أعمال أبيه وأقوال أمه وأقوال الجيران فى تفاصيل تغيب حتى على من يرى رأى العين ، ثم يطير بى إلى مدينة كولومبيا بأمريكا ، فيصف لى فتاة تحلم فى نومها ، ويصف حلمها كأنه هو الحالم ! ثم يعود الى بشرى فيعرض لى بعض صور من طفولة جبران ومن حياة أسرته ، ولكن عليها جميعاً طابع الخيال ، فتفاصيلها لا يمكن أن يلم بها إلا شخص يتحدث عن نفسه ، على أن يكون قوى الذاكرة الى أقصى حد ؛ ومن أمثلة ذلك وصف والدة جبران (ص ٢٠) وحكاية بائع الزيت (ص ٢٣) . وما لى أورد الأمثلة ، وهذا القسم الأول من حياة جبران قبل أن يعرفه المؤلف عبارة عن قصة خيالية ؟ ولقد كان المؤلف وهو يصف حياة جبران وهو فى بوسطن ، ينقل اليك تناجيه

وخلجات حسه ، ونزعات قلبه ، وانفعالات نفسه ، كمن يكتب مذكرات لساعتها عن نفسه . خذ لك مثـــلاً حواره مع أبيه (ص ٣٢) ، وزيارته للفنان ، (ص ٣٣) ، وخلوته مع المرأة التى دعته إلى منزلها (ص ٤٠) ، ومناجاة نفسه (ص ٤٧) ، وهو يكتب مقالاً ويصححه (ص ٦٢) ، وأثناء عرضه صوره وعلاقته بمارى الفتاة الحالمة فى أول الـكتاب وهى الآن مديرة مدرسة ، وعلاقته بميشيلين ، وغير ذلك من عزلاته وهواجسه ... الخ

وما أظن أن عرض هـذا الجزء من حياة جبران على مثل تلك الصورة الخيالية ، وما فيها من براعة ومن رواء ، متفق مع ما يتبع فى كتابة التراجم ، أو باعث فى القلب ماتبعثه الحوادث التى يدعمها الأسناد والرواية ، وتطلبها الحقيقة من الأهتمام والعناية . هذا إلى أن المؤلف فى تلك الفترة من حياة جبران لم يعلق على ما فيها من مواقف ، وما كان لحوادثها من أثر فى مستقبله ، ولـكن ما حاجته الى التعليق ؟ بل كيف يتسنى له ذلك وقد صور لنا جبران كما لو كان جبران يحـدثنا عن نفسه ؟ وبذلك تخلص من عرض رأيه فى صاحبه

ومما يلاحظ على هذا القسم من الـكتاب أن الرابطة فيه ضعيفة ، وقد ذكرت فيـه بعض الحوادث دون أن يفهم القصد من ذكرها ، فلم تكن للتبسط أو للتحليل أو لبيان العلاقة بين المترجم له وبين الحياة

أما فى القسم الثانى من الـكتاب عند ماصحب المؤلف جبران ، فانك تحس بجو من الحقيقة ويبتعد عنك الخيال القصصى ، ويحدثك المؤلف عن جبران كما رآه فى عدة مناسبات ، وتبدأ تهتم بحياة جبران وآثاره ، وتتضح لك شخصيته فتزداد معرفة به ، وان جهلت الظروف التى كونته هذا التكوين ، اللهم إلا ما كان من تأثير (نيتشه) فيه ، وهو ما شرحه المؤلف فى آخر القسم الأول . على أنك فى هـذا القسم الثانى من حياة جبران لن ترى المؤلف يحدثك عن رأيه فى صاحبه من الناحية الأدبية أو الخلقية ، ولا تجد منه مناقشة جدية لآثاره ومقدار قيمتها ، بل تراه يقتصر على ذكرها دون تعليق ، إذا استثنيت وصفه لـكتاب « النبى » وإظهار أثر نيتشه فيه ، وقراءة قصيدته التى جاء ذكرها فى (ص ١٦٠) معه ، وحتى فى هذين ترى الأعجاب يغلب على النقد النزيه

لـكننى كما قدمت أحس بدقة موقف الأستاذ ميخائيل بالنسبة إلى حيـاة صديقه جبران ؛ على أنى أتساءل هل أنصف صاحبه وعرضه على الناس كما هو على حقيقته ، أم أحاط شخصيته بشىء من الغموض ؟ ولست أعرف إلا أن طريقته التى سلـكها من الصعب أن توفى بغرضه ، وهل يتفق ذلك مع ما جاء فى مقدمته (ألفت هـذا الـكتاب على أمل أن يطالع القارئ من خلال فصوله صورة جبران كما عرفته لا « تاريخ » حياته الذى لا يعرفه أحد) ؟

ولئن اختلفت مع الأستاذ نعيمة فى طريقته ، فانى معجب بمقدرته فى الوصف ، وقوته فى تحليل العواطف النفسية ، ورسم الخواطر الذهنية ، وقوة روحه التى خلصت الـكتاب على طوله من الفتور ، وجعلتنى أقلب صفحاته فى شغف ولذة ، ولن أنسى دقة أسلوبه ومتانة نسجه ، لولا هنات ما كنت لأشير إليها لولا أنها علقت بهذا الأثر النفيس ، ومنها بعض المجازات الغريبة كتعبيره عن الموت بالغور فى رحم الزمان (ص ١٧) وكوصفه الخالق بأنه « الحائك الأكبر قد التقط بمكوكه العظيم خيطى حياتهما من جديد » (ص ٦٨) ، وكوصفه القارئ بأنه يمضغ الـكتاب بعينه وروحه (ص ١٠١) ، وما استعمله عن الفلس من المجازات (ص ١٢٣) ، وكقوله فى (ص ٢١٥) يحفرها تنين النسيان ويطوقها غربال الزمان . . . وسواها من الأخيلة غير المألوفة ، والقياسات الشاذة كجمعه سؤال على سؤالات وكاستعماله لفظ اندلق للقهوة بدل أن يقول انسكبت مثلاً

على أننى كما ذكرت ما كنت لأعرض لهـذه الهنات لولا صدورها من أديب له مكانة كالأستاذ ميخائيل نعيمة

الخفيف